الشذا الطيب
في
ذكرى أبي الطيب

لطلبة السنة الخامسة الثانوية الادبية

١٩٢٩ — ١٩٣٠

بقلم

عبد الجواد سيد ابراهيم

المدرس بالمدرسة الخديوية

الطبعة الاولى

مارس سنة ١٩٣٠

الثمن ٥٠ مليما

المطبعة الأهلية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

الشذا الطيب
في
ذكرى أبي الطيب

لطلبة السنة الخامسة الثانوية الأدبية

١٩٢٩ — ١٩٣٠

بقلم

عبد الجواد سيد ابراهيم

المدرس بالمدرسة الخديوية

الطبعة الاولى

مارس سنة ١٩٣٠

المطبعة الأهلية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

العماد الاصبهانى

« انى رأيت أنه لم يكتب انسان كتاباً فى يومه ؛ الا قال فى غده ؛ لو »
« غير هذا لكان أحسن؛ ولو زيد كذا لكان يستحسن ؛ ولو قدم هذا لكان »
« أفضل ؛ ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ؛ وهو دليل »
« على استيلاء النقص على جملة البشر »



المؤلف



الى العالم الكبير ، والمربى القدير ، زعيم المربين ، ونقيب المعلمين

حضرة صاحب العزة محمد لبيب الكردانى بك

مساعد مراقب تعليم البنات بوزارة المعارف العمومية

وبعد : فانى اتقدم بين يدى عزتكم مهدياً اليكم كتابى :ـ

(الشذا الطيب ـ فى ذكرى أبى الطيب)

لأتيمن باسمكم ، ويشرف كتابى بشرفكم ، وأفخر بانى أهديته الى من أضاف الى سمو أخلاقه فضل العلم ، والى إخلاصه فى عمله الرزانة والحلم ، فكان المثل الاعلى لخير الرجال ، ورجال الخير ، فاذا تفضل سيدى بقبوله كان قد أفاض على من روحه الطيب هدى ونوراً وملأنى نشاطاً وحبوراً والسلام ؟

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله الذى إليه يصعد الكلم الطيب ، وأصلى وأسلم على مولانا وسيدنا محمد الذى حبب اليه الشذا الطيب ، وعلى جميع رسله ، نور الحق وصفوة الخلق ، وبعد فهذه عجالة ، أوجزت فيها القول ، فى ذكرى أبى الطيب ، متتبعاً عيون أخباره ، وفنون أشعاره ، وتوخيت فيها سهولة التعبير ، لتكون قريبة التناول واصطفيت الأبيات التى سقتها للاستشهاد فى كل باب ؛ لتعلق بذهن الطلاب ؛ وذيلت صفحاتها بشرح ما يستغلق فهمه من المفردات ؛ والأبيات توفيرا للوقت ؛ وشفعتها بمصور يبين بيئة المتنبى ورحلاته

وقد أخلصت العمل لوجه الله فى هذه العجالة ؛ راجيا أن يعم نفعها فتكون بغية الأديب ؛ وغنية اللبيب ؛ فاذا شجعنى جمهور المتأدبين بأقباله عليها ؛ حمدت الله أن وفقت ؛ وأتبعتها بأخرى فى بحث أوسع ؛ إذا أتيحت لى الفرصة ؛ وكان فى الأجل متسع ؛ وان كان غير ذلك ؛ فما أردت الا النفع والخير ما استطعت ؛ وما توفيقى الا بالله ؛ عليه توكلت وإليه انيب ؟

عبد الجواد سيد ابراهيم

أبو الطيب المتنبي

٣٠٣ — ٣٥٤ هجرية

٩١٥ — ٩٦٥ ميلادية

تمهيد

أبو الطيب المتنبي ، في الادب العربي ، صرح شامخ البنيان ، ودوح مديد الظل ، رائع العظمة ، على كر العصور ، ومر الدهور ، اعتورته سهام الحسد والانتقاص فلم تؤثر في علاه ، ولم تنل من عظمته ، فهو عظيم في الرجال ، عظيم بين الشعراء ، فاذا نحن بحثنا عن آثاره ، ودرسنا محاسن أشعاره فانما ندرس نفسية شاعر اجتماعي ، شارك الناس في آمالهم وآلامهم ، وصور علل أخلاقهم ، كما وصف علاج أدوائهم كانما يترجم ما في الضمائر ، ويطلع على ما تكنه السرائر ، اذا استطلعنا خبيئة نفسه وليداً وطفلا ، ويافعاً وكهلا نراها في كل أطوارها سامية غلابة ، طموحة الى السيادة ، تعاف أن يكون الامراء من أقرانها ، وتعد الملوك من نظرائها

همتي همة الكرام ونفسي   نفس حر ترى المذلة كفراً

فهو الشاعر الفذ ، والمفرد العلم ، رب السيف والقلم ، نادرة الدهر ، في صناعة الشعر ، تسيطر على الحكمة والشعر ، فزاوج بينهما ، وتألف نافرهما ، فظهر نور الادب ناصعاً ، ونور الحكمة مشرقا ، في أسلوب جديد ونظام فريد كانه المعنى بقول البحتري ،

في نظام من البلاغة ماشك   م امرؤ أنه نظام فريد

وبديع كانه الزهر الضا   حك في رونق الربيع الجديد

وصف عصره سياسياً

عاش المتنبي فى العصر الثانى (١) من عصرى الدولة العباسية وهو عصر انقسامها إلى دويلات صغيرة ، حين وضع الترك والديلم أيديهم على شئون الدولة ، وسيطروا على خلفائها ، وانتقص الولاة أطرافها ، فاستقل القرامطة بعمان (٢) والبحرين وآل بويه بفارس والاهواز ، وآل سامان بخراسان ، وآل حمدان بحلب والثغور ، والاخشيدية بمصر ،

تفرق هذا الملك الواسع ، بعد أن كانت الرقعة الاسلامية متماسكة الاطراف ، يجمع شتاتها حاضرة واحدة ، هى بغداد فما أشبههم بملوك الطوائف بالاندلس ، الذين نعى عليهم ابن أبى شرف ضخامة الالقاب ، وضعف السلطان ، فقال

مما يزهدنى فى أرض أندلس   أسماء معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة فى غير موضعها   كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد

زد على ذلك تفرقهم شيعا فى دينهم ، حتى أصبحت بغداد مسرحا للمنازعات السياسية والدينية ، اذ ظهر بها أمر الحنابلة ، وقويت شوكتهم ، وناصبوا أتباع الشافعى العداء ، واغروا بهم العميان والسفهاء ، وكانوا يغشون المنازل ، فاذا وجدوا نبيذا أراقوه ، أو مغنية آذوها ، وكسروا الآلة التى تعزف بها ، وقلما فشت المنازعات الدينية فى أمة ، إلا آل أمرها الى الدمار ، ومما زاد الخطب تفاقما (٣) ، ظهور (٤) أمر القرامطة فى عصر المقتدر فى سواد الكوفه ، فعاثوا فى الارض فساداً ، وقاموا بغزوات متتابعة ، فملكوا البحرين ، وغزوا البصرة وقطعوا طريق الحجيج أعواماً ، وغزوا الكوفة ، وكان المتنبى اذ ذاك فى نحو الثانية عشرة من عمره ، فاستولوا عليها ، وأسروا قائد الخليفة المقتدر ، وشتتوا جيشه ، ولم تمض سنتان على ذلك حتى أغاروا على

(١) العصر الثانى من ٢٤٧ - ٦٥٦ أى من عهد المتوكل الى ان استولى التتار على بغداد (٢) بلد باليمن وعمان بالفتح والتشديد بلد بالشام (٣) عظما (٤) هم قوم ظهر امرهم فى ايام المعتضد فى سواد الكوفة وبالبحرين والشام واشعلوا بهذه البلاد نار الفتنة التى آذت المسلمين وسلبتهم امن الطريق الى بيت الله الحرام .

مكة ، ونقلوا منها الحجر الاسود الى هجر والقوا جثث القتلى فى بئر زمزم ، ومازالت الفوضى تعم ؛ حتى ساءت الحال ، فى جميع نواحى الحياة الاقتصادية ، من زراعة ؛ وصناعة ؛ وتجارة ؛ وانغمس الناس فى حمأة (١) الرذائل ؛ لا وازع لهم من دين أو سلطان ؛ ولبثوا على تلك الحال ؛ حتى استولى التتار على بغداد ؛ وازالوا دولة كانت عظيمة الأثر والسلطان

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته ... كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

أثر الحالة السياسية فى شعره

عاش المتنبي منذ غضاضة اهابه ؛ الى ان خلق (٢) بردشبابه ؛ يختلف الى مدن الشام وفلسطين ؛ من طبريه الى اللاذقية ؛ ومن انطاكية الى حلب ؛ والى مدن العراق ؛ من بغداد الى الكوفة ؛ وهو فى كل صقع يرى نار الفتنة مستعرة وعوامل الانقسام قائمة ؛ على شفار السيوف ؛ وأسنة الرماح ، فملكت تلك المشاهد عليه حواسه ؛ وأخذت بلبه ؛ وحركت فى نفسه الميل الى الخروج على السلطان ؛ والاستظهار عليه بالشجعان، ولم يكن ينقصه الاقدام ؛ وقد كان أكبر مظاهره ؛ ولا محبة العظمة ؛ وقد جبل عليها ؛ ولذا ظهر فى شعره ؛ ما كان يدور بخلده ؛ فأجاد فى وصف المعارك وآلات القتال ؛ ومدح الشجاعة والشجعان ؛ ومنى نفسه بحرب شعواء ؛ يثير عجاجها ؛ ويحمل لواءها ؛ ويكون قائد ابطالها ؛ فمن وصف المعارك قوله

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم ... تركت جمعهم ارضا بلا رجل
مازال طرفك (٣) يجرى فى دمائهم ... حتى مشى بك مشى الشارب الثمل (٤)

---

(١) الطين الاسود المنتن (٢) خلق مثله العين بلى (٣) الكريم من الخيل
(٤) السكران

وقوله :

والطعن شزر (١) والارض واجفة (٢)   كانما فى فؤادها وهل (٣)
قد صبغت خدها الدماء كما   يصبغ خد الخريدة (٤) الخجل

وهذا مما استعمل فيه وصف النساء فى صفة الحرب وسيأتى لذلك نظائر.

وقوله فى الشجعان

شجاع كان الحرب عاشقة له   اذا زارها فدته بالخيل (٥) والرجل

وقوله محدثاً عن نفسه

لقد تصبرت حتى لات مصطبر   فالآن اقحم (٦) حتى لات مقتحم
لأترك وجوه الخيل ساهمة (٧)   والحرب أقوم من ساق على قدم
بكل منصلت (٨) ما زال منتظرى   حتى ادلت (٩) له من دولة الخدم

وقوله :

ساطلب حقى بالقنا ومشايخ   كانهمو من طول ما التثموا (١٠) مرد (١١)
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا   كثير اذا شدوا (١٢) قليل اذا عدوا

وقوله

وان عمرت جعلت الحرب والدة   والسمهرى (١٣) اخا والمشرفى (١٤) أبا
بكل أشعث (١٥) يلقى الموت مبتسما   كأن له فى موته اربا
فالموت أعذر لى والصبر اجمل بى   والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

---

(١) الطعن الشزر الذى يقصد به الانتقام (٢) مضطربة (٣) وهل كفرح : ضعف
(٤) الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة (٥) اى بالفرسان والمشاة (٦) قحم فى الامر رمى بنفسه بلا روية (٧) ضامرة (٨) السيف الصقيل الماضى او الرجل الماضى فى الحوائج
(٩) انتصرت يقال ادالنا الله من عدونا اى نصرنا عليه (١٠) التثم شد اللثام وهو نقاب يوضع على الفم واللثام ما يشد على طرف الانف (١١) جمع امرد الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته (١٢) اى حملوا على الاعداء (١٣) الرمح الصلب (١٤) السيف منسوب الى مشارف الشام وهى قرى من ارض العرب تدنو من الريف (١٥) المغبر الرأس المتلبد الشعر

الحياة الأدبية فى عصره

أن انقسام الدولة العباسية فى عصرها الثانى الى دويلات صغيرة كان من نتائجه تنافس ملوكها فى توطيد ثروتها العامة؛ ونهضتها العلمية! فنمت الحركة الفكرية؛ وسارت فى سبيل الرقى التى رسمها لها خلفاء العصر الأول؛ فجنوا ثمار ما غرسه سلفهم من العلوم الموضوعة والمترجمة؛ وصححوا أغلاطها؛ ورتبوا أبواب مسائلها؛ فكان عصر الثقافة العلمية العامة بفضل تأثير الفلسفة والمنطق فى عقول الباحثين؛ وفى هذا العصر استقصى العلماء مسائل النحو والصرف؛ ودونوا علوم البلاغة؛ وهذبوا مباحثها؛ وظهر النابغون من العلماء والفلاسفة والشعراء؛ أمثال ابن جنى والجرجانى من علماء اللغة والادب؛ والفارابى وابن سينا من الفلاسفة؛ والمتنبى والمعرى والشريف الرضى وغيرهم من الشعراء؛ وكما حفظ لنا التاريخ صورة من هذه النهضة العلمية المباركة: اثبت الى جانبها صورة نكدة (١): من صور الجماعات الاسلامية المتنافرة: يبغى بعضهم على بعض. ويكيد قويهم لضعيفهم: لا رابطة بين حاكمهم ومحكومهم؛ حكام مستبدون؛ ورعية يؤمرون؛ فيطيعون رهبة لا رغبة: وخلفاء يولون ويعزلون: دون أن يكون للامة رأى فى توليتهم أو عزلهم: ودماء تهدر من غير جناية: وأموال تستباح فى غير معصية: وأعراض تنتهك فى غير حياء؛ أمة دب فى أخلاقها الفساد ودين فشا فيه الالحاد وعصر كثر فيه أصحاب الملل والنحل؛ هذه صورة مجملة لأخلاقهم العامة التى كان أثرها بيناً فى شعر الشعراء فى هذا العصر

فجاهروا بذم ملوكهم. وأهل زمانهم، وحملوا فى قلوبهم الحقد على الناس؛ واستحكمت فى نفوسهم العداوة لهم، وظهر ذلك جلياً فى شعر أبى الطيب المتنبى، وأبى العلاء المعرى، وغيرهما من الشعراء

---

(١) مشئومة عسرة

اثر الحياة الادبية فى شعره

علمنا مما سبق أن المتنبى ظهر فى عصر ملئت فيه الدنيا بترجمة علوم اليونان وفلسفتهم وحكمتهم ، فكان جديراً به أن يتناول تلك الناحية من التفكير فى شعره ، لا سيما وقد سبقه اليها أبو العتاهية ، وأبو تمام ، غير أنه بذهما وجرى فى ذلك الميدان، لا يشق له غبار ، ولا يماريه ممار، الى ان جاء بعده أبو العلاء ففاقه فى ذلك وان كان من غرس يديه ، وممن عول فى أدبه عليه ، فمن أبياته الحكيمة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم   إلا على شجب (١) والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وقوله :

أبداً تسترد ما تهب الدنيا   فياليت جودها كان بخلا

وستمر بك طائفة صالحة من أبياته فى الحكم

أما سوء الاخلاق ، وفساد الزمان فى عصره فقد أثار حقده على الناس، واستصغاره شأنهم ، وجعله من المتشائمين الذين يسيئون الظن بكل ما فى الوجود ، فأخذ يذم الزمان وأهله ، ويحقد على الدنيا وينكر المودة ، فمن قوله يذم الزمان

وما الدهر أهل ان يؤمل عنده   حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقوله يذم أهل زمانه

أذم الى هذا الزمان أهيله   فاعلمهم فدم (٢) واحزمهم وغد (٣)

وقوله ينكر المودة

ولما صار ود الناس خبا (٤)   جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن اصطفيه   لعلمى انه بعض الانام

---

(١) الحزن والهم والشغل (٢) عي ثقيل (٣) الرجل الدنئ يخدم بطعامه بطنه (٤) الخداع

وقوله فى ذم الدنيا

لحا (١) الله ذى الدنيا مناخا لراكب   فكل بعيد الهم فيها معذب

وسنوفى ذلك حقه عند الكلام على فلسفته

حياته وبيئته وأثرهما فى شعره

اسمه ولقبه : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكندى الكوفى

مولده : ولد المتنبي فى محلة كندة (٢) بالكوفة سنة ٩١٥م ، ٣٠٣هـ ويعرف أبوه بعبدان السقاء كان عمله سقاية الماء فى تلك المحلة

نشأته : لما ترعرع أبو الطيب ، ظهر نبيهاً محباً للعلم أولع من صغره بتعلم اللغة العربية ، وكان يكثر الاختلاف الى مجالس العلماء فى زمانه فى الأدب واللغة ، كابن السراج والاخفش ، وأبى على الفارسى وكان قوى الحافظة لازم مكاتب الوراقين ، وقرأ ما وقع له من كتبهم ، وحفظ الكثير من غريب اللغة وحوشيها ، وأخبار العرب وأشعار الجاهليين وغيرهم ، وقال الشعر على حداثة سنه وبرع فيه

وهنا نقف هنيهة ، نسائل انفسنا على من تقع تبعة التقصير ، فى تدوين احوال النابغين ، ومعيشتهم واخلاقهم فانا لا نعرف كيف كانت حياة ابى الطيب الأولى ، وممن كان يقتبس أخلاقه ، ولا كيف نمت عنده ملكة الشعر ، واذا ساغ لنا ان نستنبط شيئاً من ذلك ، فرائدنا فيه الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً ، وخلاصة ما وصل اليه البحث والاستقراء ، أن ابا الطيب بعد أن شب وترعرع ، صحب الاعراب فى بادية الكوفة ـ ثم عاد اليها بعد سنتين بدوياً . قحاً ، وكان قد تعلم الكتابة والقراءة ، وحفظ الكثير من شعر ابن الرومى ،

---

(١) قبح ولعن (٢) وليس بكندى القبيلة بل هو جعفى نسبة الى جعفى بطن من سعد العشيرة من القحطانيين

فكان لذلك اثره فى تكوين ملكته الشعرية ، ومن شعره الذى قاله فى حداثة سنه قوله .

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى

وقوله . وقد أحس ان قوماً يبحثون عن نسبه

(١) أنا ابن من بعضه يفوق ابا البا حث والنجل بعض من نجله

وانما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفدوا حيله

نسبه : ليس ابو الطيب من بيت مجد ولا أسرة شريفة اذ كان أبوه كما تقدم سقاء ، ولكن ذلك لم يثبط من همته ، ولم يفل من عزيمته أو يحط من منزلته بل زاد فى علو نفسه حتى سما بها الى مرتبة الامراء بل الملوك ، وقد مجن به الشعراء ، وهجوه من هذه الناحية أى ناحية نسبه ، والذى اغراهم بذمه ، الوزير المهلبى ببغداد ، حين أبى المتنبى مدحه ، ترفعاً عن مدح غير الملوك ، فوقع فيه حساده من الشعراء ، حتى قال فيه ابو الحسين بن لنكك البصرى

قولا لأهل زمان لاخلاق لهم ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا

أعطيتم المتنبى فوق منيته فزوجوه برغم امهاتكم

لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

وقال أحدهم وقد تلطف فى هجائه

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع بالكوفة الماء وحينا يبيع ماء المحيا

ولكن المتنبى لم يأبه لقولهم ، ولم يتصد لمعارضتهم ، بل ترفع عنهم ، وقال لقد فرغت من الرد على الذين هم أرفع منهم طبقة فى الشعراء بقولى

أرى المتشاعرين غروا بذمى ومن ذا يحمد الداء العضالا (٢)

ومن يك ذافم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

---

(١) كانه يقول الولد سر ابيه وبفضلى الذى عرفه الجميع انم على فضل ابى لانى بعضه وانما يفتخر بالجدود من نفره الناس حتى نفدت حيله فى استمالتهم اليه

(٢) الشديد الذى اعيا الاطباء

وقولى :

أفى كل يوم تحت ضبنى(٢) شويعر ضعيف يقاوينى قصير يطاول
واتعب من ناداك من لاتجيبه واغيظ من عاداك من لاتشاكل

وقولى :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

ويظهر لى أن المتنبي وقف أمام من هجاه من الشعراء موقف جرير أمام بشار بن برد، حين هجاه بشار فلم يجبه ، لئلا يرفع من شأنه ، ويعد من طبقته ، قال بشار ولم اهجه — يعني جريرا — لأغلبه ، ولكن ليجيبنى فأكون من طبقته ، ولو هجانى لكنت أشعر الناس أو كموقف البحترى أمام ابن الرومى فقد هجاه ابن الرومى فأهدى اليه البحترى ثيابا ودراهم وكتب اليه

شاعر لا أهابه نبحتنى كلابه
ان من لا أعزه لعزيز جوابه

محنته وسجنه :

طمحت نفس المتنبي إلى السيادة بالفتح ، لأنه آنس من نفسه قدرة على تدبير الأمور ، لاتقل عن مقدرة من كان يفوز بالسيادة والملك فى ذلك العصر فدعا الى بيعته شبابا من اترابه ، ورواة شعره ، فى باديه بنى كلب فاسرعوا لبيعته ، وتصدوا لنصرته ، ولما شاع أمره ، وانتشر خبره ، وشى به الى لؤلؤ أمير حمص ، من قبل الاخشيديين ، فخرج الأمير لقتاله ، وتفرق عنه اصحابه ، وقبض عليه وأودعه غياهب السجن ، مقيداً مدة طويلة ، حتى كاد يهلك ، فاستعطفه أبو الطيب وهو سجين بقوله

اما لك رقى ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلى ثقل الحديد

ثم سئل الامير فى أمره فاستتابه ، وأطلق سراحه ، بعد ان كان وطن نفسه على الموت ، وفى ذلك يقول

---

(١) الضبن : ما بين الكشح والابط

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناى فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

رقة دينه : نشأ المتنبي فى عصر كثر فيه الزنادقة والملحدون وفشت فيه المنازعات الدينية ، ووهن أمر الدين ، فلم يبل(١) ان يأتى فى شعره بما يخالف أمر الدين ، وقد تورط فى ذلك حتى استصغر امور الانبياء ، نعم ان سوء الاعتقاد الدينى لا ينهض دليلا على تأخر الشاعر ، ولكن للدين حقه من الاجلال ، الذى لا يسوغ لمتدين الاخلال به قولا أو فعلا ، ومن استهان به فقد باء بغضب من الله ، وتعرض لمقته ، ومن أبياته الزائغة قوله

يترشفن من فمى رشفات هن فيه احلى من التوحيد

وقوله يمدح بدر بن عمار

لو كان علمك بالاله مقسما فى الناس ما بعث الاله رسولا
أو كان لفظك فيهم ما أنزل التوراة والفرقان والانجيلا

وقوله فى ابن زريق الطرموسى

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
يامن نلوذ من الزمان بظله ابدا ونطرد باسمه ابليسا

فما اجرأه قاتله الله على الدين ، والاستهانة بمعجزات المرسلين ، جزاه الله جزاء وفاقا

نبوءة المتنبى

اسلفنا الكلام فى عصر الفتن الدينية الذى نشأ فيه المتنبي ، اذ ظهر فيه أمر القرامطة ، وغزوا الكوفة ، والمتنبي اذ ذاك فى الثانية عشرة من عمره ، واختلطت دعوتهم بدعوة الاسماعيلية الذين كانوا يدينون بالمانوية ، أى

(١) يقال لم ابال ولم ابل اى اكترث انظر القاموس

الاصلين النور والظلمة ، وهى نحلة قديمة ، ربما كان لها اتباع من المجوس فى الكوفة لقربها من فارس ، وجملة القول ان هذه البيئة كانت مشوبة بالالحاد فشافيها الضلال . وترادفت فيها الفتن . وسقطت هيبة الدين . ولا شك أن ذلك مما يهون على المتنبي ادعاء النبوة اذا حدثته نفسه بهذا المطمع . فاذا صح انه جهر بهذه الدعوة وانه مع هذا كان ينتسب إلى العلويين . فلا غرابة فى ذلك وربما ادعى أنه الامام الذى ينتظره القرامطه (١) وطائفة من الشيعة الامامية اضف الى ذلك أن المتنبي لم يكن يصلى ولا يصوم . ولا يقرأ القرءان ولا يؤدى الزكاة بعد ان أثرى رغم انه كان قليل التوقير للانبيـــاء . تخف اسماؤهم على لسانه . حتى كان يقرن نفسه بهم . فمن قوله فى ذلك

ما مقامى بارض نخلة (٢) الا   كمقام المسيح بـــين اليهود

وقد برىء من الاسلام . أو بالاحرى برىء منه الاسلام . حين مدح سيف الدولة بقوله

ان كان مثلك كان أو هو كائن   فبرئت حينئذ من الاسلام

هذا الى ما تقدم من مدائحه لبدر بن عمار . وابن زريق الطرموسى . التى حقر فيها من شأن الانبياء ومعجزاتهم

فلو كان يستشعر قلبه للدين رهبة . ولمقام الانبياء حرمة . لما جرى على لسانه هذا الغلو الشنيع . الذى لا يسوغه دين ولا عقل . أضف الى هذا وذاك انه نظر فى كتب الفلاسفة . واستعرض بعض آرائهم وشكوكهم . كما يفهم من كثرة ما اقتبس من معانى ارسطو . ومن ترداد عبارات الفلاسفة وأساليب المناطقة فى شعره . حتى ظهر الشك والتردد فى بعضه . فلا يسلم من الشك قوله :

فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

---

(١) حكى المعرى فى رسالة الغفران نقلا عن بعض محدثيه ان للقرامطة بيتا فى الاحساء يزعمون ان امامهم يخرج منه وعلى باب هذا البيت فرس مسرج ملجم ويقولون للطغام (هذا الفرس لركاب المهدى يركبه متى ظهر)

(٢) اسم مواضع بالباديه والعراق واسم واديين بالشام واليمن على ليلة من مكة شرفها الله

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته(١) اقامه الفكر بين العجز والتعب

ولا تنس غيظ المتنبى ممن كان يذكر له دعوته النبوة . ورغبته فى دفن الخبر ونسيانه . وهذا أقوى دليل فى تعزيز الشبهة عليه

قال ابو الفتح عثمان بن جنى . سمعت ابا الطيب يقول . انما لقبت بالمتنبى لقولى

انا ترب الندا ورب القوافى (٢) وسمام العدا وغيظ الحسود

انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

وسئل ابو العلاء المعرى . عن حقيقة ما نسب الى المتنبى . من ادعاء النبوة فوقف فى رده موقف الشاك المتردد فى قبول ما نسب اليه او رفضه كما جاء فى رسالة الغفران على علمه باخبار المتنبى . واعجابه به . ولم يكن بين قتل ابى الطيب وبين مولد ابى العلاء . غير فترة قصيرة نحو تسع سنين . فهو احق من يتثبت من صدق الخبر . لو كان الى التثبت منه سبيل على كل حال لا يكون غريبا من رجل نشأ هذه النشأة . فى ذلك العصر . على هذا الخلق . واطلع على ما اطلع عليه المتنبى . ان يطمع فى المجد من طريق الدين ولكن هل فعل ذلك وجهر بادعاء النبوة ؟ هذا ما لا سبيل الى البت فيه برأى قاطع

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

رحلاته

تقيم الرجال الاغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا

نشأ المتنبى فى اسرة فقيرة ، فما إن بنت عذاره ، وطر شاربه ، حتى نبابه وطنه ، فتجشم اسفارا أبعد من آماله ، ومشى فى مناكب (٣) الارض ، يطوى المراحل ، ويرد المناهل لا زاد معه يحمله ، ولا مطية الا خفه أو نعله . قدحدث بذلك عن نفسه اذ يقول :

---

(١) روحه (٢) جمع سم مثلث السين معروف (٣) جوانب



بيئة المتنبي
رسمها : عبد الهادي
بحر طبرستان (الخزر)
الدولة السامانية
الدولة البويهية
الدولة الحمدانية
حلب
أنطاكية
اللاذقية
حمص
دمشق
بغداد
قبرس
بحر الروم (البحر المتوسط)
طبرية
الرملة
الكوفة
البصرة
شيراز
بادية الشام
بادية العراق
بادية بني كلب
القاهرة
مصر
خليج فارس
القرامطة
المدينة
جدة
مكة
الطائف
بحر القلزم
بلاد العرب
اليمن
سقوطرة
خط السير

ومهمه (١) جبته على قدمى تعجز عنه العرامس (٢) الذلل (٣)
اذا صديق أنكرت جانبه لم تعيني فى فراقه الحيل

وشتان ما بين حاله هذه و بين الحال التى قال فيها يخاطب سيف الدولة ،

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وانعلت أفراسى بنعماك عسجدا (٤)
وقيدت نفسى فى هواك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

رحلته الاولى

٣٢٠ — ٣٣٧ — ﻫ ، ٩٣٢ — ٩٤٨ م

كانت غرة رحلاته الميمونة الى بلاد الشام ، حيث انتقل من بدوها الى حضرها ، وقصد طبرية و اللاذقية وانطاكية ، فاتصل فى طبرية ببدر بن عمار وفى اللاذقية بالتنوخيين ، وفى انطاكية بابى العشائر الحمدانى قريب سيف الدولة ، وكان يمدح من اتصل بهم لا يضن بمدائحه على أحد ، فكان كما وصفه صاحب يتيمة الدهر ، « يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين الكركى (٥) والعندليب » مدح على بن منصور الحاجب بقصيدته التى منها

حالا متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الى منها تائبا

فاعطاه عليها دينارا واحدا فسميت الدينارية

ومن مدائحه فى بدر بن عمار قوله

نطقت بسؤددك الحمام تغنيا وبما تجشمها (٦) الجياد صهيلا
ما كل من طلب المعالى نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا

واشاد بذكر التنوخيين بقصيدته التى رثى بها محمد بن اسحق التنوخى ومنها

---

(١) مفازة والواو واورب (٢) جمع عرمس الناقة الصلبة (٣) جمع ذلول سهلة الانقياد (٤) ذهبا
(٥) الكركى طائر معروف والعندليب الهزار ويجمع على عنادل (٦) تجشم الامر تكلفه

ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى   أن الكواكب فى التراب تمور (١)
ما كنت آمل قبل نعشك ان أرى   رضوى على ايدى الرجال يسير

ومن عيون مدائحه فى ابى العشائر قوله

الناس ما لم يروك اشباه   والدهر لفظ وانت معناه
والجود عين وانت ناظره   والبأس باع (٢) وانت يمناه

رحلته الى حلب

٣٣٧ — ٣٤٦ هـ ، ٩٤٨ — ٩٥٧ م

كان سيف الدولة أميرا على حلب محبا للادب عارفا بجيد الشعر و شاعرا مجيدا فى بعض أوقاته . اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر عدد كبير قلما يجتمع على باب غيره من أمراء عصره قدم انطاكية على ابى العشائر الحمدانى وعنده المتنبي يمدحه ، فقدم اليه سيف الدولة وعرفه منزلته من الشعر والادب واثنى عليه ، و لما رحل سيف الدولة عن انطاكيه رافقه المتنبي وأقام عنده منقطعا اليه لا يمدح غيره ، فحسن موقعه عنده وهو الذى جذب بضبعه (٣) ، ورفع من قدره ، وخلع عليه واجازه الجوائز السنية ، فكان جملة ما قال ابو الطيب فى مدحه يعادل ثلث شعره وهو اجوده ولا غرابة فالاحسان يطلق اللسان فهو كما قال فيه أحد الشعراء

لئن جاد شعر بن الحسن فانما   تجيد العطايا واللهى (٤) تفتح اللها (٥)

وقد خلد الشعر ذكرهما ، وجمع بين اسميهما الى الابد ، وذاع صيت المتنبى فملأ أذن الدنيا وبصرها ، وغلت مراجل الحقد فى قلوب الشعراء بعضاله وحسدا فرموه بكل قبيح وسعوا به لدى أميره ، فكان المتنبي يستنجد بأميره فى رد كيدهم لان اصطفاءه له كان سبب حسدهم ، و فى ذلك يقول

---

(١) تختفى من قولهم سهم مائر اى داخل فى الجسم (٢) قدر مد اليدين (٣) الضبع العضد كلها او وسطها
(٤) اللهى افضل العطايا (٥) اللها . اللحمة المشرفة على الحلق

ازل حسد الحساد عنى بكبتهم(١)　　فانت الذى صيرتهم لى حسدا

ومن حبه اياه لازمه فى حربه وسلمه ، وقدمه الى الرواض ليعلموه الفروسية ، وقد شهد معه بعض المواقع الحربية ، ومن عيون مدائحه فى سيف الدولة ، قوله

هو البحر غص فيه اذا كان ساكنا　　على الدر واحذره اذا كان مزبدا

تظل ملوك الارض خاشعة له　　تفارقه هلكى و تلقاه سجدا

وتحيي له المال الصوارم والقنا　　ويقتل ماتحي التبسم والجدا

ومن أبياته التى تدل على اعترافه بما كان يدر عليه من أميره من أنواع الخيرات قوله وقد خرج الى أقطاع اقطعه اياه سيف الدولة بمعرة النعمان

اسير الى أقطاعه فى ثيابه　　على طرفه(٢) من داره بحسامه

لبث المتنبي أثيرا(٣) عند سيف الدولة اذ كان غير مدافع فى شاعريته ، ولا منازع فى عبقريته ، فاغرى ذلك حساده من الادباء على الوقيعة فيه ، والسعاية به لدى أميره ، حتى أوغروا عليه صدره واثاروا حقده ، وكان من أشدهم له عداوة ، واكثرهم ، نكاية ، ابو فراس الحمدانى قريب سيف الدولة ، فجرحوا كبرياءه و نغصوا عيشه ، ولما تنكر له سيف الدولة ، أخذ هو يستسمحه ويترضاه ، و يعتذر له عن غير ذنب جناه ، فقرض قصيدته الميمية التى مطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شبم (٤)　　ومن بجسمى وحالى عنده سقم

ثم انشده اياها فى مجلس ضم علية الناس ، وفيهم خصمه الالد ابو فراس فلما وصل الى قوله

يا أعدل الناس الا فى معاملتى　　فيك الخصام وانت الخصم والحكم

ابتدره ابو فراس بقوله ، لقد مسخت قول دعبل وادعيته ، وهو

ولست أرجو انتصافا منك ماذرفت　　عينى دموعا وانت الخصم والحكم

فلم يحر المتنبي جوابا ، الى أن وصل الى قوله

---

(١) كبت العدو اذله او رده بغيظه (٢) الكريم من الخيل (٢) مقدما (٤) الشبم . البارد

اعيذها نظرات منك صادقة   أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ففطن ابو فراس الى أنه يعنيه بذلك . فقال له ومن أنت يا دعى كندة حتى تقع فى اعراض أهل الأمير فى مجلسه فكظم المتنبى غيظه الى ان قال

ان كان سركم ما قال حاسدنا   فما الجرح اذا أرضاكم الم

فقال بو أفراس أخذت هذا من قول بشار

اذا رضيتم بأن نجفي وسركم   قول الوشاة فلاشكوى ولاضجر

وهكذا اخذ أبو فراس فى معارضـــته ورده كل معنى الى قائله وأغفل المتنبى الدفاع عن نفسه مما يدل على كثرة سرقاته فى شعره وعلى منزلة أبى فراس فى الادب وسرعة بديهته . ورغم هذا فقد ازالت هذه القصيدة موجده سيف الدولة عليه فاظهر له رضاه وأجمل جائزته وادناه

ثم اتفق أن اجتمع المتنبى وابن خالويه النحوى فى حضرة سيف الدولة فعرضت مسألة لغوية اثارت بينهما الجدل والمناظرة وأدى الامر إلى النفور فالمهاترة فوثب ابن خالويه على المتنبى وشجه بمفتاح حديد كان فى يده فلم ير المتنبى من أميره دفاعا عنه ولا انتصارا له فاغضبه ذلك فرحل عنه الى دمشق وعلق بها مناه والقى بها عصاه واقام بها حينا وكان أميرها ابن ملك اليهودى من قبل ملك مصر كافور الاخشيدى فطلب من المتنبى أن يكون من ممدوحيه فثقل ذلك عليه فغضب اليهودى وجعل كافور يكتب الى ابن ملك فى طلب المتنبى ولحقده عليه كتب الى كافور أن أبا الطيب قال « لا أقصد العبد وان دخلت مصر فما قصدى الا ابن سيده »

وما قضى أحد منهـــا لبانته   ولا انتهى أرب الا الى أرب

رحلته الى الرملة فمصر

٣٤٦ — ٣٥٠ هـ ، ٩٥٧ — ٩٦١ م

وان نبت بك أوطان نشأت بها   فارحل فكل بلاد الله أوطان

لما اجتوى ابو الطيب دمشق سار منها الى الرملة فحمل اليه اميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة واحتفى بمقدمه وحمله على فرس عتيق وقلده سيفا محلى وسار به فى موكب عظيم ولما علم كافور بمجيئه الى الرملة ازدادت رغبته فى ان يكون من حاشيته كى ينافس به امراء عصره فكتب فى طلبه الى أمير الرملة حتى كان يقول لبعض جلسائه «أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا» وبعد الحاف من أمير الرملة على ابى الطيب فى قدومه الى مصر، سار اليها فرحب به كافور وأخلى له داراً وحمل اليه أموالا كثيرة فمدحه المتنبى بمدائح خلدت ذكره وفاء لحقه، وانتقاما من سيف الدولة لنفسه، اذ كان يعلم عداوة ملكه الجديد لبنى حمدان

ومن جيد مدائحه فيه قوله

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا(١)
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومآقيا (٢)
اذا كسب الناس المعالى بالندا فانك تعطى فى نداك المعاليا

والبيت الثانى ابدع ما يقال فى مدح ملك أسود

وكان المتنبى انما يمدح كافورا طمعا فى ولاية يتولاها، أو امارة يفتخر بها، وقد كان كافور أطمعه بذلك بادىء بدء، فاخذ ابو الطيب يتلطف فى الاقتضاء الذى يلين الصخر، ويستنزل العصم، (٣) فمن قوله فى ذلك

أباذا الذى يهب الكثير وعنده أنى عليه بأخذه أتصدق

وقوله

أبا المسك هل فى الكاس فضل اناله فانى أغنى منذ حين وتشرب
اذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

وقد مدح شاعرنا بمصر ابا القاسم انوجور سيد كافور، فنال من

---

(١) الساقة النهر الصغير (٢) جمع مؤق مؤخر العين من جهة الانف (٣) جمع اعصم وهو من الظباء والوعول ما فى ذراعيه او فى احداهما بياض وسائره اسود او احمر (٤) اى شغلك عنى يسلبنى ما منحت

الاكرام والمال قدرا وافراً ، حتى كان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة، ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق

واستأذن أبو الطيب كافورا فى مدح ابى شجاع فاتك فأذن له ، وأبو شجاع هو من أصل رومى أسر صغيرا فاخذه الاخشيد من سيده بالرملة واعتقه ، فنشأ شجاعا كريم النفس بعيد الهمة ، فلما مات الاخشيد ، وتقرر كافور فى خدمة ابن سيده ، أنف فاتك من الاقامة بالقاهرة كى لا يرى كافورا أعلى منه رتبة ، وكانت الفيوم أقطاعا له فانتقل اليها ، ولما أحوجته العلة الى الانتقال الى القاهرة قابل المتنبي مصادفة فى الصحراء ثم تبادلا الرسائل ومن قوله يمدحه

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق ان لم تسعد الحال
وما شكرت لان المال فرحنى   سيان عندى أكثار وأقلال
لكن رأيت قبيحا أن يجادلنا   وانا بقضاء الحق بخال

ولما مات رثاه بقصيدته العينية المشهورة التى مطلعها

الحزن يقلق والتجمل يردع   والدمع بينهما عصى طيع

ومنها

المجد اخسر والمكارم صفقه   من أن يعيش بها الكريم الاروع(١)
والناس انزل فى زمانك منزلا   من أن تعايشهم وقدرك أرفع

عتب واعتذار

أغفل المتنبي وصف البلاد المصرية ، وما فيها من آثار خالدة ، ونعمة وافرة ، ونيل عذب ، وسماء صافية ، مع أنه وصف بحيرة طبرية وشعب بوان وبالغ فى وصفهما ، ولعل عذره فى ذلك أنه قصد مصر طالب حاجة فامتنعت عليه فخرج منها هاربا ؛ ومن ملكها غاضبا على أنه ذكر فى شعره

---

(١) من يعجبك بحسنه وجهارة منظره

النيل والهرم ، فاشار الى النيل فى قصيدة أرسلها الى سيف الدولة بعد خروجه من مصر فقال

من عبيدى إن عشت لى الف كافـــور ولى من نداك ريف ونيل

وعرض لذكر الهرمين فى رثاء أبى شجاع اذ يقول

اين الذى الهرمان من بنيانه　　ما يومه ما قومه ما المصرع

ورمى أهل مصر بالجهل فى قوله

وماذا بمصر من المضحكات　　ولـكنه ضحـك كالبـكا

وقال فى مسلمى مصر

أمبلغ الدين أن تحفوا شواربكم　　يا امة ضحكت من جهلها الامم

ولعل تبرمه واستخفافه باهل مصر نتيجة حقده على كافور واخفاقه فى مسعاد

ومن يك ذا فم مر مريض　　يجـــد مرا به الماء الزلالا

رحلته من مصر الى العراق

٣٥١ — ٣٥٣ هـ ، ٩١٦ — ٩٦٥ م

يئس المتنبى من تحقيق أمله ، وخافه كافور لكبريائه وسموه فى شعره ، حتى قال لمن عاتبه فى أمره ، « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، اما يدعى الملك بعد كافور فحسبكم » فاستأذن كافورا فى الهجرة من مصر فابى عليه ذلك ، تقيه منه ، وحذرا من لســـانه ، غير أنه اعد لهجرته العدة ، وانتهز لذلك الفرصة ، وخرج من مصر فى ليلة عيد الاضحى على حين غفلة ، ونظم فى هجو كافور قصائد ومقطعات كانت عليه اليمة الوقع ، شديدة لوطأة ، فارسل كافور بعض رجاله فى طلب المتنبى فلم يدركوه . وسار توا لى بغداد مقر الخليفة المطيع لله العباسى

ومن قوله فى هجائه يذكر استبداده بمنعه

انى نزلت بكذابين ضيفهم　　عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الايدى وجودهم … من اللسان فلا كانوا ولا الجود
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم … الا وفى يده من نتنها عود

وقد أفحش فى هجائه وسنذكر طرفا من ذلك فى نماذج شعره ثم تابع سيره الى الكوفة فمدح بها أبا الفوارس « دلير بن لشكروز » ثم قصد ارجان فمدح بها ابن العميد ابا الفضل محمد بن الحسن وزير ركن الدولة وأقام عنده مدة ثم قصد شيراز فمدح بها عضد الدولة وحظى عنده ولكنه لم تطل مدة اقامته فاراد الرجوع الى بغداد

رحلته الاخيرة

خرج أبو الطيب من شيراز قاصدا بغداد ، بعد أن أثقله عضد الدولة بالذخائر والنفائس ، وكان معه ابنه محسد ، وبين يديه غلمانه وخدمه ، فلما كان بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية بالجانب الغربى من سواد العراق ، خرج عليه جماعة قيل من الخفراء وكانوا قد طلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه فمنعه الشح والكبر فتقدموه وقتلوه ، وقيل جماعة من بنى ضبه جهزهم عضد الدولة لقتله ، لانه كان قد دس عليه من سأله كيف هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ، فقال هذا أجزل إلا أنه متكلف ، وسيف الدولة كان يعطى طبعا ، وقيل فاتك بن ابى جهل الاسدى وجماعة من أصحابه تآمروا على قتله ، لان المتنبى كان قد هجا ضبة ابن يزيد ابن أخته ، وتعرض لامه ، وأفحش فى هجوهما ، فغاظ ذلك فاتكا ، وتحين الفرص للفتك به ، فلما التقيا تقاتلا قتالا عنيفا ، ورأى المتنبى أن الدائرة عليه ، فهم بالفرار ، فقال له أحد غلمانه ، لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى … والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال له المتنبى قتلتنى قتلك الله ، ورجع وقاتل حتى قتل هو وابنه محسد وغلامه مفلح ، وكان ذلك فى رمضان سنة ٣٥٤ ﻫ و ٩٦٥ ميلادية

المتنبى نعى نفسه

نعى المتنبى نفسه فى آخر قصيدة له مدح بها عضد الدولة بن بويه ، إذ جرى على لسانه فى اضعافها ما يتطير (١) منه ، كقوله فيها

إذا التوديع أعرض قال قلبى عليك(٢) الصمت لا صاحبت فاكا
فلو أنى استطعت خفضت طرفى فلم أبصر به(٣) حتى أراكا
وأيا شئت يا طرقى فكونى أذاه أو نجـاه أو هلاكا

ألم تر إلى قوله « عليك الصمت » وقوله « لا صاحبت فاكا » الذى هو دعاء قلبه عليه ، وقوله خفضت طرفى فلم أبصر به ، وهذا مما يتشاوم منه .
وقيل أن عضد الدولة قال « تطيرت عليه من ذكره النجاة بين الأذاة والهلاك » .

رثـــاؤه

رثى المتنبى كثير من الشعراء المجيدين ، منهم أبو الفتح عثمان بن جنى النحوى المشهور ، وأبو القاسم مظفر بن على الطبسى ، ومن قول هذا فى رثائه

كان من نفسه الكبيرة فى جيـش وفى كبرياء ذى سلطان
ما رأى الناس ثانى المتنبى أى ثان يرى لبكر الزمان
هو فى شعره نبى ولكن ظهرت معجزاته فى المعـانى

أخلاقه وصفاته

خلق المرء حال من أحوال نفسه ، تصدر عنها أفعاله الاختيارية ، من غير فكر ولا روية ، ويتكون الخلق من البيئة الطبيعية والاجتماعية ، ومن الحوادث التى يصادفها فى إبان حياته ، والعادات التى تعودها منذ نعومة

---

(١) يتشاءم (٢) الزم (٣) يريد سرعة الأوبة

أظفاره ، ومن هنا جاء اختلاف الناس فى الصفات والعادات ، فكان منهم الخبيث والطيب ، والمسيء والمحسن ، ولما كانت دراسة الخلق فى شخص تتوقف على معرفة حياته الأولى بين أسرته وخلطائه ، ونحن لم نقف على شيء من تاريخ حياة المتنبي سوى ما تركه لنا من شعره ، كان قوله أصدق كلم وأعدل حكم

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به   والشعر أصدق ما ينبي عن الكرم
لولا مقال زهير فى قصائده   ما كنت تعرف جوداً كان فى هرم(١)

تلون المتنبي

كان أبو الطيب كثير التلون ، ليس له فى أمرائه رأى ثابت ، ولا عقيدة راسخة ، يمدحهم إذا طرب ، ويهجوهم إذا غضب ، وهو بالغ أقصى الغاية فى ثنائه وهجائه ، شأنه مع سيف الدولة الحمدانى ، و كافور الأخشيدى ، اشترط على أولهما عند اتصاله به أن ينشده مدائحه جالسا وأبى الا أن ينشد ثانيهما قائما ولما سئل عن ذلك أجاب

يقل له القيام على الرءوس   وبذل المكرمات من النفوس

كان المتنبي يرفع من شأن العرب ، ولا يرضى أن يكون ملوكهم من العجم فيقول

وإنما الناس بالملوك وما   تفلح عرب ملوكها عجم

ثم يناقض نفسه ، فيمدح عضد الدولة بن بويه الأعجمى ويشيد بذكره وآله إذ يقول

فى وجهه من نور خالقه   غرر هى الآيات والسور
فوق السماك(٢) وفوق ما طلبوا   فاذا أرادوا غاية نزلوا

(١) هرم بن سنان المرى ممدوح زهير بن أبى سلمى (٢) أحد السماكين الأعزل والرامح وهما نجمان نيران

مما تقدم نعلم أنه متلون كالحرباء (١) طمعا فى مال ينيله مأربه ، أو مركز سام يناسب أدبه

سرعة غضبه

كان المتنبي سريع الغضب ، شديد التأثر ، وقد حمله ذلك على مفارقته سيف الدولة بطرا (٢) حتى قال فيه هجرا (٣)

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

ولكنه لما هدأت سورة غضبه ، أظهر ندمه ، واعترف بخطئه ، إذ يقول

وفارقت خير الناس قاصد شرهم وأكرمهم طراً (٤) لألأمهم طراً
فعاقبنى المخصى بالغدر جازيا لأن رحيلى كان عن حلب غدراً

غلظة المتنبي وقسوته

كان أبو الطيب عاتيا جباراً ، يمنى نفسه بالانتقام ، ويغرى غيره بالقسوة على الناس . مما يدل على هذا الخلق قوله

ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ولا فى الردى (٥) الجارى عليهم بآثم

وقد حرض غيره على القسوة بقوله

وكن كالموت لا يرثى لباك بكى منه ويروى وهو صاد (٦)
فان الجرح ينغر (٧) بعد حين إذا كان البناء على فساد

وما هجاؤه المقذع إلا كنتيجة لهذا الخلق فقد غلا فى النيل ممن هجاه . حتى لم يترك لهاج سبابا ، ولم يدع للصلح بابا ، ولقد كان وقع هجائه على أعدائه أشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، ألم تر إلى قوله فى هجو كافور

---

(١) دويبة تستقبل الشمس برأسها (٢) البطر قلة احتمال النعمة (٣) الهجر بالضم القبيح من الكلام
(٤) جميعا (٥) الهلاك (٦) عطشان (٧) نغر الجرح ورم

وقوله من كل رخو وكاء(١) البطن منفتق   لا فى الرجال ولا النسوان معدود
وقوله أمينا وأخلافا وغدراً وخسة   وجبنا أشخصا لحت لى أم مخازيا

المتنبى يسأل ألحافا

إذا رجعنا النظر إلى ما دونه التاريخ من حوادث الشعراء مع ممدوحيهم وقبولهم لعطاياهم أو ترفعهم عن ذلك . عرفنا من تلك الحوادث نفسية كل شاعر وما اتصف به من إباء ورفعة ، أو ذلة وضعة ، وإذا علمنا أن قبول العطاء مذلة ، فما بالك بالاستجداء وإراقة ماء المحيا .

يروى لنا التاريخ تعفف زهير بن أبى سلمى عن قبول العطاء من ممدوحه هرم بن سنان المرى ، إذ تتابعت عليه عطاياه فكان يعطيه كلما مدحه أو سأله أوسلم عليه وليدة أوعبدا أو فرسا ، فاستحيا زهير وكان إذا وجده فى ملأ . قال أنعموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت ، كما يروى لنا التاريخ ماقاله لبيد بن ربيعة العامرى لابنته حين مدحت الوليد بن عقبه والى الكوفة لأنه أهدى اليه مائة بكرة (٢) لينحرها إعانة له على الوفاء بنذره فقد كان لبيد نذر فى الجاهلية الاتهب ريح الصبا (٣) الا أطعم ، فلما هبت الصبا ولبيد بالكوفة ذو حاجة . حث الوليد أهل الكوفة على إعانته وبدأه بالعطاء وكتب اليه أبياتا منها

أرى الجزار يشحذ شفرتيه   إذا هبت رياح أبى عقيل
اشم (٤) الانف اصيد (٥) عامرى   طويل الباع كالسيف الصقيل

فقال لبيد لابنته أجيبيه فلعمرى لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر وإنما لم يجبه هو لأنه ماقال شعرا منذ أسلم ، ولم يرو له إلا بيت واحد وهو

الحمدلله الذى لم يأتنى أجلى   حتى لبست من الاسلام سربالا

---

(١) خيط يشد به فم القربة (٢) الفتية من الابل (٣) ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش
(٤) سيد ذو أنفة (٥) ملك اورافع رأسه كبرا

فاجابته ابنته بقولها

إذا هبت رياح أبي عقيل　　دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الانف أروع عبشميا (١)　　أعان على مروءته لبيدا

إلى أن قالت

فعدان الكريم له معاد　　وعهدى بابن أروى أن يعودا

فقال لبيد « قد أحسنت لولا أنك استطعمته » فقالت إن الملوك لايستحى من مسألتهم ، فقال لها « وأنت يابنية فى هذا أشعر »

على أن ذلك الشمم ، وهذا الاباء ، لم يكن من خصائص شعراء الجاهليين أو المخضرمين فقط ، بل كان فى الشعراء الذين يعدون فى طبقة المتنبى ومن معاصريه ، أمثال الشريف الرضى الذى رد هدية بعث بها اليه الوزير فخر الملك وزير بهاء الدولة حينما علم بولادة ابن للشريف . فوصله بالف دينار وقال انها أجرة القابلة فردها الشريف وقال له « انا أهل بيت لايطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ، ولسن ممن يأخذن أجرة ، ولا يقبلن صلة ، » أما شاعرنا فقد خلع فى ذلك العذار ، وأراق ماء وجهه فى طلب الدرهم والدينار ، وكلما أجز لوا عطاءه ، فتحوا لهاته وأطلقوا لسانه فمن قوله يستندى كافورا ويطلب تكرار صلته .

ومكرمات مشت على قدم السيـــر الى منزلى ترددها
فعد بها لاعدمتها أبداً　　فخير صلات الكريم أعودها

وقوله

ياذا الذى يهب الكثير وعنده　　انى عليه بأخذه أتصدق
أمطر على سحاب جودك ثرة (٢)　　وانظر الى برحمة لا اغرق

وقوله يخدعه بمدائحه حتى يهبه ولاية أو إمارة

قالوا هجرت الغيث قلت لهم　　الى غيوث يديه والشآبيب (١)
الى الذى تهب الدولات راحته　　ولايمن على آثار موهوب

---

(١) منسوب الى عبد شمس　(٢) سحاب ثرة اى كثير المطر

ولو أن شاعرنا وقف مدائحه عند الشكر على العطاء ليكون بمثابة قضاء الدين ، لـكان موقف كريم ، وندر منه أن يقف هذا الموقف فى شكر أبى شجاع فاتك أذ يقول

وماشكرت لان المال فرحنى　　سيان عندى اكثار واقلال

لكن رأيت قبيحا ان يجادلنا　　واننا بقضـــاء الحق بخال

وكان أحيانا يثوب الى رشده ، وينحى باللائمة على نفسه ، وذلك إذا لم ينل مآربا ، أولم يصب غرضا حيث يقول

أبعين مفتقر اليك نظرتنى　　فاهنتنى وقذفتنى من حالق (٢)

لست الملوم أنا الملوم لاننى　　أنزلت آمالى بغير الخالق

وما كان أجمل مذهبه لو سلك هذا المسلك ولـكنه الطمع يحفز صاحبه الى الصغار ويسمه الذل والهوان

كبرياؤه

اشتهر أبو الطيب بالـكبرياء تلك الصفة التى تجلت مظاهرها فى حبـــه السيادة ، والترفع عن الدنايا ، واحتقار غيره والرغبة فى مساواة الملوك ، والامراء وهى عواطف سامية ، ترافق الشاعر فى أطوار حياته ، فتظهر فى شعره وفى كل قصيدة نظمها فى مدح أو هجو ، أو حكم أو فخر ، وان انفته اوعزة نفسه ، اورثتـــاه صفات حسنة ، كالشهامة والصبر والعفة واطراح للملاذ الخبيثة كشرب الخمر وما يتبعه من المجون والهزل ، كما أورثتاه الحقد على الناس ؛ والفحش فى القول مما يراه المطلع على كثير من قصائده ، وقد زعم كثير من الناس أن كبر أبى الطيب شمم واباء ، أو شجاعة واقدام، او ذكاء ونبل ، لأنه أسدل عليه بحسن سبكه ستاراً جميلا فحسبه الناس حسنة من حسناته

---

(١) جمع شؤبوب الدفعة من المطر (٢) جبل مرتفع

كبر بلاء نسب تيه بلا حسب   فخر بلا أدب هذا من العجب

غروره بنفسه - كان من نتائج كبره اعجابه بنفسه، وغروره باعماله، وفخره بما ينسب اليه، وكأنه كان يراقب حركات الناس ليرى هل يعطونه من الاجلال مايزعم أنه مفروض عليهم قبله، فاذا بدا له شيء من تقصيرهم، صب عليهم جام غضبه، وأصلاهم نار حقده، لذا كان دائم التذمر من الناس حاقداً عليهم، سيء الظن بنياتهم، وسترى أثر ذلك فى شعره

شهرته بالبخل

من صفات المتنبي التى لا تتناسب مع ما اشتهر به من حب السيادة وحسن الأحدوثة، والترفع عن صغائر الأمور، حرصه على المال وشدة بخله، وله فيه نوادر كثيرة، مما دفع أبا بكر الخوارزمى إلى قوله كان المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر

وإن أحق الناس باللوم شاعر   يلوم على البخل الرجال ويبخل

ومن نوادر بخله ما رواه الخوارزمى، قال حضرت عند المتنبي يوما بحلب، وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة، فصب بين يديه على حصير قد افترشه، ووزن وأعيد فى الكيس، وإذا بقطعه كأصغر ما يكون من ذلك المال، قد تخللت خلل الحصير، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذها منه، ويشتغل بذلك عن جلسائه، حتى توصل إلى إظهار بعضها فتمثل ببيت قيس بن الخطيم

تبدت لنا كالشمس بين غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها وأمر بأعادتها إلى مكانها من الكيس. فقال بعض جلسائه أما يكفيك ما فى هذه الأكياس حتى أدميت أصبعك لأجل هذه القطعة، فقال أنها تحضر المائدة، وقد ليم شاعرنا على تصرفه المعيب، وحرصه الشائن، وهو المتمدح بالشجاعة وعجيب أن تجتمع الشجاعة التى هى بذل الروح،

والبخل وهو الضن بيسير المال ، وأعجب من ذا ان يذم البخل ويتصف به ، فهو القائل : ومن ينفق الساعات فى جمع مال   مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقد ذكر سبب بخله حادثة أسوقها اليك لا تبريراً له ، إذ أنها مما يقع كثيراً ، فلا تنهض حجة له ، قال وردت فى صباى من الكوفة إلى بغداد ، وأخذت خمسة دراهم فى جانب منديلى ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فمررت برجل يبيع الفاكهة ، فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة فاستحسنتها ، ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت اليه وساومته ثمنها ، فقال لى بازدراء « اذهب فليس هذا من أكلك » فتماسكت معه ، وقلت أيها الرجل ، دع ما يغيظ واقصد الثمن » فقال ثمنها عشرة دراهم ، فلشدة ما جبهنى به لم أستطع أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل وإذا بشيخ من التجار قد مر بنا ، فوثب اليه صاحب البطيخ ودعا له ، وقال يا مولاى ها بطيخ باكورة بأجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ ويحك بكم هذا » فقال « بخمسة دراهم » فقال بل بدرهمين » فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ودعا له وعاد مسروراً ، فقلت ياهذا ما رأيت أعجب من جهلك ، استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت وكنت أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولا ، فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار فقلت فى نفسى « أن الناس لا يكرمون أحدا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة الف دينار ، واعتمدت أن يكون عندى مثلها فانا أجد فى ذلك على ما تراه حتى يقولوا أن أبا الطيب عنده مائة الف دينار »

ولعل السبب الحقيق فى بخله هو ماذاقه من لوعة الفقر وشظف العيش فى حياته الاولى وما منى به نفسه من الملك الذى كان ينتظر . أن يكون له من ماله دولة ، تحقق آماله غير أن بخله رمى به من حالق وكان سبب حتفه فربما تكون منية المتمنى فى أمنيته ، وقد يسبق الحين جهد الحريص .

يا قليل الخير موفور الصلف   والذى حاز فى التيه السرف
كن بخيلا وتواضع تحتمل   أو سخيا يحتمل منك الصلف

أدب أبي الطيب

نبوغ شعره

وما الدهر الا من رواة قصائدى   اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا   وغنى به من لا يغنى مغردا

ولقد صدقت نبوءة المتنبي بشعره ، فلم يكن ينظم قصيدة حتى تسير مع الركبان ، وتنتقل الى كل مكان ، ويحفظها أهل الوبر والمدر ؛ ويستشهد بأبياتها البدو والحضر ؛ وينشدها الصبي فى درسه ؛ ويشدو بها المغنى فى مجلس أنسه وما أقلام كتاب الرسائل ؛ بأجرى بها من السن الخطباء فى المحافل ؛ وبذا أصبح فريدا فى هذه الشهرة التى تمتع بها فى حياته ، ولم تكن لتنتهى بعد مرور ألف سنة أو يزيد من وفاته ،

نادرة — حكى بعض أصحاب ابن العميد ، قال « دخلت عليه يوما قبل أن يتصل به المتنبي فوجدته واجما ، وكان قد ماتت أخته من قريب ، فظننته واجدا لأجلها فقلت لا يحزن الله الوزير فما الخبر ، قال انه ليغيظنى أمر هذا المتنبي واجتهادى فى أن أخمد ذكره ، فقد ورد على نيف وستون كتابا فى التعزية ما منها إلا قد صدر بقوله :

(١) طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر   فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

فكيف السبيل الى اخماد ذكره ، فقلت له القدر لا يغالب الرجل ذو حظ فى اشاعة الذكر ، واشتهار الاسم ، فالاولى الا تشغل فكرك بهذا الامر ، وليلاحظ أن المتنبي قرض القصيدة التى منها هذان البيتان قبل وفاة أخت ابن العميد بسنة أو أقل فكأنها طافت الجزيرة فى أقل من سنة .

---

(١) يقول طوى الجزيرة الخبر ورجا أن يكون كذبا ولما كذب الامل كثر بكاؤه حتى كان الدمع لاحاطته بى كاد يشرق

أما أسباب شهرته فمن أقواها فضل شاعرنا ، ومتانة أسلوبه ، وكثرة أبياته الحكيمة التى انفرد بها ، وما يتبع ذلك من منافسة الامراء بما دحيهم ومدائحهم ، فى ذلك العصر عصر الانقسام والتنافس بين الامراء ، ولا تنس فضل حسد الناس له وتحاملهم عليه فى تلك الشهرة ولله در أبى تمام القائل

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فكل تلك الاسباب اذاعت شعره ، وأنالت شاعرنا من المكانة فى أدب العرب مالم ينله شاعر سواه .

اختلاف الادباء فى شعره

ليس شيء ادل على عظمة شاعرنا من اختلاف الادباء والشعراء فى الحكم عليه ، من حيث شعره الفنى ، اذ لم نر شاعرا عربيا اختلف فيه جمهور المتأدبين كأبى الطيب ، فهم فيه فريقان يختصمان ، فريق يزرى بالمتنبى ويتتبع سقطاته ويدل على سرقاته ، وهم شانئوه وحساده ، وفى مقدمة هذا الفريق الصاحب من عباد ، — لانه كان قد استزار المتنبى فلم يحفل به — وفريق اشاد بذكره مفضلا اياه على شعراء العربية كافة ، وكان حامل لواء هذا الحزب ابا العلاء المعرى فقد جمع الجيد من شعر المتنبى وسماه « معجز احمد » وشرح ديوانه شرحا وافياً سماه اللامع العزيزى ، ولما اتم تصنيفه قال كأنما نظر المتنبى الى بلحظ الغيب اذ يقول

أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

ونشأ من تطاحن الفريقين فريق ثالث ، يذكر له حسناته ، وينعى عليه سيئاته ، فهو ككل شاعر عظيم ، كثير الحسنات تفرط منه الهفوات ، والكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من احصيت هفواته

هجوت زهيرا ثم انى مدحته وما زالت الأملاك تهجى وتمدح

فنـــه :

كان المتنبي شاعرا فنيا عظيما اذ تجلت فى شعره صورة كاملة للطبيعة بجمالها وجلالها كما تجلت فيه فلسفته فى الحياة ، ومذهبه فى حقائقها وفروضها، ومثل هذا الشاعر يندر أن يجود الزمان بمثله فى الدهور المتطاولة،والأجيال المتباعدة

هيهات أتى الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

فهو يناجى نفسك من جميع نواحيها ، فيطربك متغزلا ، ويعجبك واصفاً ويشجوك بل يبكيك راثيا ، فتحلو لك نغمته فى جميع حالاته ، وهو شاعر العظمة يلقاك بها انى واجهته ، يمثلها فى الالفاظ ان لم يأنس بها فى المعانى ، واذا اجتمع الامران كأن يصف حربا مثلا فهناك الابداع كما قال عنه ابن الاثير ، « اذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ؛ وأشجع من ابطالها ، وقامت أقواله للمسامع مقام أفعالها حتى يظن أن الفريقين قد تقاتلا ، والسلاحين قد تواصلا ، » وعلى الجملة فأنا نرى المتنبى قد الف نوعاً فريدا فى الآداب العربية وبنى مجدا رفيعا فى ميدان الشعر العربى درج عليه الشعراء بعده ، ولكنهم لم يبلغوا شأوه

فنون شعره

اعتاد المتقدمون من أهل الأدب أن يقسموا الشعر بحسب الاغراض الباعثة للشاعر على قرضه فيذكروا أنواعه من مديح أو غزل أو هجاء، أو وصف أو فخر أو رثاء ، ولما كانت هذه الانواع لاتثبت على حال ، وتزداد آنا بعد آن ، ناسب أن نقسم الشعر حسب رأى المحدثين من الادباء الى فنون ثلاثة

(١) شعره الصميم أو الوجدانى (٢) شعره الوصفي (٣) شعره الفلسفي أو الحكمى

(١) شعره الوجدانى

هذا القسم أجدر أن يسمى وحى الخاطر أو الشعر الحساس ، وهذا النوع لايستطيع أحد ممن ضربوا فى هذا الفن بسهم أن ينكره على

أبى الطيب ، غير أنه ليس غالباً فى شعره بل أينما وجدته وجدت الصنعة والتفكير العقلى بارزين فيه ، فلا تظهر فيه تلك الروعة المؤثرة فى العواطف ويعزى ذلك الى أنه لم يصادف فى حياته حوادث توقظ فيه هذا الاحساس وتنمى عنده هذا الشعور ، وقد اعترف بهذا الجمود على نفسه إذ يقول :

أصخرة أنا مالى لا تحركنى هذى المدام ولا هذى الأغاريد

وأنى له ذلك وهو لا يتحرك للشراب ولا للغناء ، ولايكاد يعرف الحب ولا يحن إلى وطنه إذا نأى عنه ، ولكنك إذا أردت أن تتبين شاعريته أثر غضبه ثم انظر اليه كيف يجيد القول ، أخر عنه العطاء ثم اصغ لشكواه ، عده الولاية ثم تغافل عنه قليلا تره يتلهب غيظا على الزمن ، وأظهر أغراض الشعر التى يتمثل فيها الشعر الوجدانى : الغزل والرثاء

شعره الغزلى

مما يستوقف نظرك إذا قرأت باب الغزل من شعر المتنبى أن ترى مواقفه غالبا مع نساء بدويات يظعن على العيس(١) يودعهن يوم الفراق ، وترى هذه الحالات كلها أو بعضها فى شعره كقوله

ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهم بعثن بكل القتل فى كل مشفق
أدرن عيونا حائرات كأنها مركبة أحداقها فوق زئبق
عشية يعدونا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق

وقوله : حشاشة(٢) نفس ودعت يوم ودعوا فلم أدر أى الظاعنين أودع

وقوله : ليالى بعد الظاعنين شكول (٣) طوال وليل العاشقين طويل
يبن لى البدر الذى لا أريده ويخفين بدرا ما اليه سبيل

وقوله : ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب(٤)
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

---

(١) الابل يخالط بياضها صفرة أو هى كرائم الابل (٢) بقية الروح فى المريض (٣) جمع شكل وهو ابلغ فى الشكوى من اشكال الذى هو جمع قلة والمعنى ان لياليه متشابهة فى الطول (٤) جمع رعبوبة وهى المرأة الممتلئة البيضاء

والذى يظهر لى من البيتين الأخيرين أن أبا الطيب لم يؤثر فى غريزته البدوية تحضره وارتياده المدن ، بل بقى شعره ينم على فطرته الأولى ، وما اكتسبه من البدو فى بدء حياته

شعره العفيف :لم يعرف أبو الطيب باللهو والفسق ، ولا بالمجون والعشق بل كان سيء الظن بالنساء مشغولا عنهن بجهاده فى الحياة لنيل مطامعه التى لا تقف عند حد ، مشغولا بحوادث الدهر (على زعمه) التى لم تتركه يلبى نداء الحب اذا يوماً دعاه ، وقد أبرز هذا المعنى فقال

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدى شيئاً تتيمه عين ولا جيد

فهو لا يستنيم[1] للذة ، ولا يسلمها زمامه ، ولا يعطيها من نفسه غير ساعة ثم يمضى فى شأنه ولذا يقول

وللخود[2] منى ساعة ثم بيننا فلاة إلى غير اللقاء تجاب

وكان يلوم الشعراء الذين يبدءون قصائدهم بالنسيب على ذلك الحب المتصنع فيقول

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم

ومن قوله فى غدر النساء

ومن خبر الغوانى[3] فالغوانى ضياء فى بواطنه ظلام
إذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها الا يدوم لها عهد

لتلك الأسباب المتقدمة كان أبو الطيب مقلا فى هذا الباب على أن شعره الغزلى ليس ذا تأثير فى إحياء الوجدان ، كأشعار من برح بهم لواعج العشق واستولى على قلوبهم الغرام ، أمثال امرىء القيس وعمر بن أبى ربيعة وأبى نواس وغيرهم . إذ المعانى الغزلية إذا قصدها فارغ القلب من الحب لا تواتيه ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، هذا والمتتبع لشعر أبى الطيب الغزلى يراه دائراً بين حالات ثلاث ، تارة تراه واعظا للعشاق ، واضعا نفسه موضع الحكيم المرشد لهم ، وأخرى تراه يصور أحوالهم ، وما يعرض لهم من نحول

---

(١) سكن واطمأن (٢) الحسنة الخلق الشابة (٣) المرأة التى غنيت بحسنها عن الزينة

وسقم ، وذبول وسهر ، وآونة يصف جمال النساء وما فى جسومهن من نعومة ، وفى عيونهن من دعج وفى وشعورهن من وفرة ، إلى غير ذلك وقد أجاد فى هذا كله وأحسن فمن قوله يعظ العاشقين

يا عاذل العاشقين دع فئة   أضلها الله كيف ترشدها
تذلل لها واخضع على القرب والنوى   فما عاشق من لا يذل ويخضع

وقوله : وعذلت اهل العشق حتى ذقته   فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبى أننى   عيرتهم فلقيت منه ما لقوا

وقوله : للهوا آونة تمر كأنها   قبل يزودها حبيب راحل

ومن قوله يصف نحول العاشقين وسقمهم

حلت دون المزار فاليوم لو زر   ت لحال النحول دون العناق

وقوله : ولو قلم ألقيت فى شق رأسه   من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله : كفى بجسمى نحولا اننى رجل   لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقوله : وخيال جسم لم يخل له الهوى   لحما فينحله السقام ولا دما

وقوله فى السهاد : كان الجفون على مقلتى   ثياب شققن على ثاكل

وقوله : بعيدة ما بين الجفون كأنما   عقدتم اعالى كل جفن بحاجب

ومن قوله يصف جمال النساء

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها   فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها   فأرتنى القمرين فى وقت معا

وقوله لبسن الوشى لا متجملات   ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن   ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وقوله من كل أحور (١) فى انيابه شنب (٢)   خمر يخامرها مسك تخامره
نعج محاجره (٣) دعج (٤) نواظره   حمر غفائره (٥) سود غدائره (٦)

---

(١) الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها (٢) صفاء الاسنان وعذوبة رضابها وقيل حدتها (٣) النعج الاتساع والمحاجر جمع محجر كمجلس ما دار بالعين وبدا من البرقع اى حجاج العين (٤) الدعج سواد العين مع سعتها (٥) جمع غفيرة وهى خرقة تكون تحت الخمار تحفظه من دهن الرأس وتكون حمراء لكثرة ما يخالطها من الطيب والزعفران (٦) ضفائر الشعر

اعارنى سقم (١) عينيه وحملنى   من الهوى ثقل ماتحوى مآزره

ويلاحظ أن غزل أبى الطيب تسرى فيه روح الكآبة والحزن ويذكر فيه الفراق والرحيل وشدة السقم والنحول آمال مقطوعة وآلام موصولة فهو مشوب برنة الاسى لا تطير به النفس فرحا كغزل أبى نواس وأضرابه وله بعض العذر فى ذلك إذ هو القائل « وما كنت ممن يدخل العشق قلبه »

شعره الرثائى

اعتاد الشعراء فى مراثيهم التهويل بعظم المصاب وإظهار الفجيعة فيه والحسرة الممزوجة بالتلهف والاسى فيخيل اليك وانت تقرأ شعرهم او تصغى اليه انك تنظر الى اعينهم تفيض منها العبرات والى صدورهم تصعد منها الزفرات فهل يقع نظرك فى مراثى ابى الطيب على شعر من هذا النوع اللهم إلا ابياتا فذة تراها فى غضون مراثيه التى بلغت زهاء اربعمائة بيت رثى بها عشرة اشخاص منهم جدته لامه التى ماتت شوقا اليه وجل مراثيه فى الوصف والحكم والسر فى ذلك أمران (١) ان شاعرنا ليس من طبعه الجزع الذى لا يتناسب مع صلابته ورجولته وجفاء طبعه «٢» ان مراثيه لم تكن منبعثة عن حزن فى نفسه او خطب ألم به بل هو مدفوع اليها بطلب النوال ، وحب المال ، فهو كالنائحة تتباكى فيبكى غيرها

اذا اشتبهت دموع فى خدود   تبين من بكى ممن تباكى

وجملة القول انك إذا تصفحت شعره فى هذا الباب تقع منه على شعر وصفي وآخر فلسفي وترى الابيات النادرة من الشعر الوجدانى بين بين انظر الى قصيدته فى رثاء محمد بن اسحق التنوخى التى منها

ما كنت احسب قبل دفنك فى الثرى   ان الكواكب فى التراب تغور

تره يمثل جلال المرثى ومكانتـــه فى قومه وهيئة جنازته مما ينشرح له صدرك .

---

(١) سقم العين فتورها

فتمنى لو تنال بعض ما ناله كما فعل ذلك عضد الدولة الذى ظفر بالوزير ابى طاهر محمد بن بقية فقتله وصلبه ولما رثاه ابو الحسن محمد بن عمران الانبارى بقصيدته التى مطلعها

علو فى الحياة وفى الممات لحق تلك أحدى المعجزات

قال وددت لو انى المصلوب وتكون هذه القصيدة فى . تعال معى ننظر الى مرثية بماك عبد سيف الدولة التى منها

وقد فارق الناس الاحبة قبلنا واعيا دواء الموت كل طبيب
سبقنا إلى الدنيا فلو عاش اهلها منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكهـــا الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

الاترانا ننسى الميت حينما تستهوى أفئدتنا تلك الدرر التى نظمها فى فلسفة الموت وتصوير الحياة فهل نقيس العظام النخرة بتلك الدرر التى بقيت على وجه الدهر سائرة (ايقاس ما يفنى بما لا ينفد) ثم انتقل إلى مرثيته فى اخت سيف الدولة تره وقد بث شكوى الشيخوخة والضعف إذ يقول

وإذا الشيخ قال أف فما ملـــل حياة ولكن الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا هما وليـــا عن المرء ولى

ثم أقرأ قصيدته التى عزى بها عضد الدولة بعمته تقف منها على فلسفته فى الموت وان كل امرىء لابد وارد حياضه وكيف نبخل بأرواحنا على زمان هن من كسبه الى غير ذلك : مما سيجىء عند الكلام على شعره الفلسفى اذ يقول

لابد للانسان من ضجعـــة لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبـــه وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف مالابد من شربه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربة
يموت راعى الضأن فى جهله موته حالنيوس فى طبه

أما مراثيـه التى صـــدرت عن حزن فى النفس ، ورقة فى الحس ، فهى

مرثيته فى أخت سيف الدولة الكبرى التى يقول فيها

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد　　بمن أصبت وكم أسكت من لجب
قد كان كل حجاب دون رؤيتها　　فما قنعت لها يا أرض بالحجب
ولا رأيت عيون الانس تدركها　　فهل حسدت عليها أعين الشهب

ومن قوله فى رثاء أبى شجاع فاتك

يا من يبدل كل يوم حلة　　أنى رضيت بحلة لا تنزع
مازلت تخلعها على من شاءها　　حتى لبست اليوم مالا تخلع

(٢) شعره الوصفى

مما لامراء فيه، أن باب الوصف من أكبر فنون الشعر وأوسع مناحيه، فهو ينتظم وصف مناظر الطبيعة من الحدائق الناضرة، والمياه المتدفقة، والجبال الشامخة، والسماء وكواكبها وبروقها وسحائبها، وطلها ووبلها كما يحتوى وصف أنواع الحيوان كالابل وسيرها، والخيل وشياتها، وأوابد الوحش، وجوارح الطير، إلى غير ذلك. وقد امتاز كل شاعر بنوع خاص من الوصف. واحد أو أكثر تبعا لبيئته وميول نفسه، والحوادث التى أثرت فى شعوره وحسه، أما شاعرنا فقد امتاز بغزارة مادته فى وصف كثير من مشاهداته، فوصف المعارك وآلات القتال كما وصف الخيل والجمال والأسد والغزال، وأبدع فى وصف بحيرة طبرية وشعب بوان، وإذ كان المتنبى لبث طيلة عمره نضو أسفار يجوب الفيافى والقفار، فلا غرو أن يألف الفضاء الذى هو أوسع من مسارح الظنون ويصف الفلاة ويستروح بهجيرها. فيقول: —

ذرانى والفلاة بلا دليل　　ووجهى والهجير بلا لثام
فانى أستريح بذى وهذا　　وأتعب بالاناخة والمقام

ومن قوله يمدح عضد الدولة ويصف شعب بوان فى طريقه إلى شيراز

وهو موضع كثير الشجر والمياه يعد من أعظم جنات الدنيا

مغانى(١) الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع (٢) من الزمان

ومنها: لها ثمر تشير اليك منها بأشربة وقفن بلا أوان (٣)

وأمواه يصل (٤) بها حصاها صليل الحلى فى أيدى الغوانى.

وستمر بك هذه القصيدة فى نماذج الشعر.

وقال يصف بحيرة طبرية بالشام من قصيدة يمدح بها على بن ابراهيم التنوخى

لولاك لم أترك البحيرة والغو ر دفء وماؤها شبم

والطير فوق الحباب(٥) تحسبها فرسان بلق (٦) تخونها اللجم

تغنت الطير فى جوانبها وجادت الأرض حولها الديم(٧)

وسنقف بك على دراسة تحليلية لهذه الميمية

وقوله يصف السيوف

خلقن شموسا والغمود مشارق لهن وهامات (٨) الرجال مغارب

ومن قوله يصف الرماح

قواض مواض نسج داود عندها إذا وقعت فيه كنسج الخدرنق(٩)

تقد عليهم كل درع وجوشن وتفرى اليهم كل سور وخندق

وقوله يصف حركات الجيش مادحا سيف الدولة فى قتال الروم

ضممت جناحيهم الى القلب ضمة تموت الخوافى ١٠ دونها والقوادم ١١

وقوله يمدحه أيضا بطلبه بنى كلاب وانتصاره عليهم

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب(١٢)

وقوله يصف مهره وقد نسب اليه الحذق والتميز. مما لم يتوافر فى كثير من بنى الانسان

---

(١) جمع مغنى وهو المنزل الاهل (٢) الربيع الزمان الطيب (٣) جمع آنية وهى الاوعية (٤) يصوت (٥) حباب الماء معظمه وقيل نفاخاته التى تعلوه (٦) فرس ابلق فى لونه سواد وبياض (٧) جمع ديمة وهى المطر ليس فيه برق ولا رعد (٨) جمع هامة وهى الرأس (٩) العنكبوت (١٠) الخوافى اربع ريشات من جناح الطائر تختفى اذا ضم الطائر جناحيه (١١) اربع اخرى فى اول جناح الطائر (١٢) طائر معروف

يميز الهزل من الحقائق ويندر الركب بكل سارق

وقال يصف فرسه بالنشاط والمرح

شققت به الظلماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب

ووقع بصره على غزال يرعى فوصفه بما تغبطه عليه الغانيات فقال

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العرى عن التفضل (١)

كأنه مضمخ (٢) بصندل معترضا بمثل قرن الايل (٣)

وقد وصف الأسد وصفا إذا قرأته خيل اليك أن الأسد أمام ناظريك، فقال: —

فى وحده الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا

يطأ الثرى مترفقا من يتهه فكأنه آس (٤) يجس عليلا

ويرد غفرته (٥) إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا

وقد وصف كلب صيد وصفا دقيقا يدل على بعد غوره وصدق نظره فى الوصف فقال

يعدو إذا أحزن (٦) عدو المسهل إذا تلا جاء المدى (٧) وقد تلى

يكاد فى الوثب من التفتل (٨) يجمع بين متنه والكلكل (٩)

كأنه من علمه بالمقتل علم (١٠) بقراط فصاد الاكحل (١١)

وإنا إذا استقصينا شعره الوصفى واستعرضنا معانيه فى كل ضروبه. حكمنا عدلا بأنه أعظم الشعراء الوصافين الممتازين. وبخاصة فى وصف المعارك وآلات القتال على أنه لم يقصر فى وصف الناس وأخلاقهم وعاداتهم وما يجول فى خواطرهم، كأنه يقرأ ما فى سرائرهم، ألم تر كيف وصف سيف الدولة فابرزه فى صورة قائد مظفر، وملك جبار الناس عبيده، والاموال غنائمه والدهر دونه، فيقول فيه: —

---

١ التفضل ان تلبس المرأة ثوبا واحدا تنام فيه ٢ ملطخ بالطيب ٣ الايل بضم الهمزة وكسرها وتشديد الياء مفتوحة الجدى الجبلى والجمع ايايل ٤ طبيب ٥ شعره المجتمع على قفاه ٦ الحزن ضد السهل ٧ الغاية ٨ الانفتال والهرب ٩ الصدر ١٠ طبيب قديم يضرب به المثل ١١ عرق فى الذراع يفصد

على عاتق الملك الأغر نجاده (١) وفى كف جبار السموات قائمه (٢)
تحاربه الأعداء وهى عبيده وتدخر الأموال وهى غنائمه
ويستكبرون الدهر والدهر دونه ويستعظمون الموت والموت خادمه

دراســـة تحليلية

لوصفى المتنبي والبحترى بحيرتى طبرية والمتوكلية

وصف المتنبي بحيرة طبرية بالشام فبدأ الوصف بقوله أنه لولا ممدوحه لما ترك البحيرة مع برودة مائها وقصد الغور على شدة حره ودفء مائه وكأنه لم يرقه من البحيرة إلا ذاك

لولاك لم أترك البحيرة والغو ر دفء وماؤها شبم

ثم شبه تلاطم أمواجها بالفحول المزبدة واسفاف الطير فوق مياهها بالفرسان المتلاحقة، كما شبه اصطفاق(٣) أمواجها الثائره. بجيشين حمى وطيس الحرب بينهما. أحدهما هازم والآخر منهزم

والموج مثل الفحول مزبدة تهدر (٣)فيها وما بها قطم(٤)
والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم
كأنها والرياح تضربها جيشا وغى هازم ومنهزم

ثم شبهها أيضا فى ضحوة النهار بقمر حوله ظلمة المروج والأشجار

كأنها فى نهارها قمر حف به من جنانها ظلم

وعد من محاسنها تغريد الأطيار فى رياضها، وهطل الامطار على ماحولها من مروج وأشجار وكأنه اعتراف منــه بقلة مائها، وعدم كفايته لسقى ماحولها من جنات وأعناب.

تغنت الطـــير فى جوانبها وجادت الأرض حولها الديم

---

١ حمائل سيفه ٢ قائم السيف قبضته التى تكون فى يد الضارب ٣ هدر البعير هاج واخرج الزبد من فيه ٤ بفتح القاف والطاء شهوة الضراب ٣ اصطفقت الامواج اهتزت بالريح

ثم عاد فشبه صفاء مائها ، وعذب نميرها ، بمرآة مجلوة كشف عنها غطاؤها

فهـى كماوية مطوقـة جرد عنها غشاؤها الأدم

وختم وصفها بأن عاب جريانها فى بلد يقطنه قوم لئام أدعياء فقال :ـ

يشينها جريها على بلد يشينه الادعياء والقزم

البحترى والمتوكلية

أما البحترى فقد راقه من المتوكلية حسن مرآها وحولها الآنسات يشرفن عليها من قصورهن فقال

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات إذا لاحت مغانيها

ونظر الى مافيهـا من إبداع فى التصوير ، واتقان فى الصنعة ، فنسبها الى جن سليمن الذين كانوا يعملون له مايشاء ، من محاريب وتماثيل وجفان ، مما تعجز عنه يد الانسان .

كأن جن سليمن الذين ولوا إبداعها فأدقوا فى معانيها

كما شبـه مجارى المياه التى تنصب فيها بالوفود المتلاحقة والخيل المتسابقة وذلك يدل على غزارة مائها ، وكثرة فيضانها .

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

وما أبدع تمثيله نسج الرياح على صفحة مائها بالدورع المقدرة السرد ، المصقولة الحواشى .

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

كما أبدع فى تشبيه صفاء مياهها الجارية فى القنوات التى تنصرف منها الى مايحيط بها من البساتين الفيحاء ؛ والحدائق الغناء ، بالفضة السائلة تجرى فى سبائكها

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجرى فى مجاريها

ومثلها حين تتراءى النجوم ليلا فى جوانبها بالسماء التى سطعت كواكبها ولمعت ثواقبها

إذا النجوم تراءت فى جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها
ثم مدحها بسعتها وثرائها بالسمك الشهى واللحم الطرى
لايبلغ السمك المحصور غايتها لبعد مابين قاصيها ودانيها

وزادها رفعة ، ورفعها منزلة ، حين شبهها وهى متدفقة الماء ، بيد الخليفة المتوكل عند العطاء ، وهذا من نوع التشبيه المقلوب

كأنها حين لجت فى تدفقها يد الخليفه لما سال واديها

فشتان ما بين الشاعرين . فكلاهما استمد أخيلته وتصوراته . مما رآه وأحاط به . من المشاهدات والمعقولات فكان ذلك أثرا من آثار البيئة التى عاش فيها ، فكلا الشاعرين أعمل فكره وجاد بما عنده :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة (١) نار

(٣) شعره الفلسفى

ربما يستوقف نظر القارىء هذا العنوان باىء ذى بدىء ، إذ أن الفلسفة تصدر عن التعقل والفكر والشعر يصدر عن الخيال والعاطفة ، فهما كالنقيضين وفى الحق أن الفكر والخيال والعاطفة كلها ضرورية للفلسفة والشعر ، غير أن نصيب الفيلسوف من الخيال قليل . كنصيب الشاعر من الفكر . ويبعد أن تعطل وظيفة الفكر فى نفس شاعر عظيم كأبى الطيب ، بل المعهود أن شعراء الامم الفحول كانوا طلائع النهضة الفكرية فى كل عصر نبغوا فيه ، على أنك إذا أمعنت النظر فى سبب الشهرة التى حازها الشعراء فى هذه الطبقة . كبشار وأبى نواس وابن الرومى ، وأبى تمام والمتنبى والمعرى ، علمت أنهم بذوا غيرهم من الشعراء ، بتوفرهم على فنون القول المتشعبة ، وطرقهم أبواب المعانى المتنوعة ، فكانوا أجمع من غيرهم لملكات الشعر والفلسفة ، وأقدر على النظر فيما حولهم ممن نظروا فى ناحية واحدة ، فحسرت (٢)

---
١ جمرة ٢ كلت

أبصارهم عن غيرها فداروا فيها طول عمرهم، وأبو الطيب على وجه خاص أولى من عامة شعرائنا (ماعدا المعرى) بالنصيب الاوفر فى عالم المذاهب والآراء. لأن الحقائق لاتكاد تستقر فى نفسه، حتى يكسوها ثيابا من نسجه ويغلب أن يوردها بعد ذلك مقرونة بأسبابها. لا فرق بينها وبين أسلوب الفلاسفة فى التدليل والبرهان، وإذا ساغ لنا أن نسمى أبا الطيب فيلسوفا فان فلسفته عملية اذ أنهزوى(١) وجهه عن مباحث ماوراء الطبيعة ونأى عن الخوض فى هذه المتاهات التى ليس وراء البحث فيها طائل. وأكب على درس الحياة فأبدى مذاهبه وآراءه فيها صريحة قريبة المنال، لاغموض فيها ولا إبهام، ويمكننا تلخيصها فى كلمات وجيزة. وهى: —

« ان الحياة حرب ضروس(٢)، علاقة الانسان فيها بالانسان، علاقة المقاتل بالمقاتل(٣)، فهو يركب سنانا من صنعه فى كل قناة ينبتها الزمان(٤)، وما المودة فيها إلا حيلة من حيل الحرب، أو هدنة فى حومة القتال، فاحذر الناس واستر الحذر منهم(٥)، وإياك أن تشكو إلى أحد، أو تغرك دمعة باك أو بشاشة مبتسم، ـ إنك إن تشك إليهم بلواك تكن كالجريح الذى يشكو أمله الى الرخم والعقبان(٦)، وإن الذى يبكى بين يديك حين تظفر به، لن يرحمك غدا حين يظفر بك(٧)، والذى يبتسم لك ويبدى لك المودة إنما يدارى الضعف والكيد ثم هو إذ تمكن من مقاتلك لن يرثى لضعفك، ولن يقيل عثرتك(٨)، واعلم أنك تنال بالخوف فى الدنيا ما لا تنال بالود، وإن

١ نحاه وصرفه ٢ الضروس اصلها الناقة السيئة الخلق التى تعض حالبها وتوصف بها الحرب مجازا

٣ انما انفس الانيس سباع ... يتفارسن جهرة واغتيالا

٤ كلما انبت الزمان قناة ... ركب المرء فى القناة سنانا

٥ وكن على حذر للناس تستره ... ولايغرنك منهم ثغر مبتسم

٦ لا تشكون الى خلق فتشمته ... شكوى الجريح الى العقبان والرخم

٧ فليس بمرحوم اذا ظفروا به ... ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

٨ لايخدعنك من عدوك دمعة ... وارحم شبابك من عدو ترحم

من أطاق التماس شيء من أشيائها غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا (١) »
نستنبط من هذه الدرر المنثورة ، التى عقدها المتنبي فى شعره ، إنه كان كئيب المزاج ، ومرجع هذا طبعه ، وأنه كان من المتشائمين الذين يسيئون الظن بكل أحد ، ومصدر هذا رأيه ، وتجاربه ، وبما ركب فى طبعه من الكآبة والتطير ، حكم على الناس والأيام ، ورسم لنفسه خطة يسير عليها فى الحياة وقد أبان محجته وأوضح نهجه فى شعره الذى يشكو فيه الزمان وأهله . ويذم الدنيا فمن قوله فيها :—

ماذا لقيت من الدنيا واعجبها ... أنى بما أنا باك منه محسود

وقوله فى تحمل مصائب الدهر : —

وأنا لنلقى الحادثات بأنفس ... كثير الرزايا عندهن قليـــل
تهون علينا أن تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقـــول

وقوله فى الحض على عزة النفس

عش عزيزا أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق (٢) البنود (٣)
فاطلب العز فى لظى ودع الذلـــ ... ـــل ولو كان فى جنان الخلود

فلسفته الخلقية

أبان شاعرنا أنه لايكره اللذة والسرور ، فهو يشتهيهما ، ويحض عليهما فيقول : —

انعم ولذ فللأمور أواخر ... أبداً اذا كانت لهن أوائل

غير أنه يطلبهما بشرط ألا يعرضاه للذل ، ولا يصماه بالدنس ، وقد أملاه علينا بقوله : —

ولا أقيم على مال أذل به ... ولا ألذ بما عرضى به درن (٤)

بل هو لا يستطيب اللذة التى لاتصحبها الكرامة ولا يجد معها التبجيل فيقول

---

١ من اطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا
٢ اضطراب ٣ جمع بند وهو العلم ٤ اى وسخ قذر

وما منزل اللذات عندى بمنزل　　اذا لم أبجل عنده وأكرم

رأيه فى المال — يرى المتنبي أن طلب المال واجب كتدبيره . بيد أنه انما يطلبه لانه وسيلة المجد وسبيل اليه . فيقول : —

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله　　ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

رأيه فى العلم — ان شاعرنا ليطرى المعرفة ويرفع الحكمة فيقول فى بيت واحد : —

أعز مكان فى الدنى(١) سرج(٢) سابح　　وخير جليس فى الزمان كتاب

غير أنه لا يجعل العلم والحكمة غاية منشودة ، بل يجعلهما ذريعة الى غايته من العز والسيادة ، فاذا قرأت قوله : —

« الرأى قبل شجاعة الشجعان　　هو أول ولها المحل الثانى »

حسبته يقدم الرأى على الشجاعة عرفانا بقيمة الرأى ، فاذا وقفت على البيت الثانى

فاذاهما اجتمعا لنفس مرة(٣)　　بلغت من العلياء كل مكان

علمت أنه يرغب فى اجتماعهما ليبلغ بهما العلياء التى هى الغاية القصوى ، وخلاصة رأيه فى المفاضلة بين السيف والقلم بينها فى بيتيه الآتيين

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى　　المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب بنا أبداً بعد الكتاب به　　فنحن فى دولة الاسياف كالخدم

وجماع الرأى فى فلسفة أبى الطيب . أنه لم يكن فيلسوفا نظرياً كابن سينا ، ولا خلقيا كابن حزم ، ولا مؤدباً صوفياً كالغزالى ، فمن خطل الرأى أن نقيسه بهم ، فان فلسفتهم تسمو على متناول الشعراء . « وما ينبغى لهم وما يستطيعون » بل غاية ما يقال عنه ، أنه مفكر له آراء فى الحياة ومظاهرها ، لا نجزم بأ [illegible] له أو أخذها عن غيره ، وهى حافلة مستفيضة . تناول فيها أبحاثه خلقية واجتماعية وأجاد تصويرها وتقريبها للاذهان . على كل حال اذا أغضينا الطرف عن بعض آرائه التى غلا فى الحكم فيها على الدهر ، وأظهر عدم رضائه بالقدر

---

(١) جمع دنيا (٢) فرس وسميت بذلك لسبحها بيديها فى سيرها (٣) شديدة

وقفنا بعد ذلك منه على آراء وفق ما يراه جمهور الناس فى كافة الامم فى جميع العصور ألم يقل العباس بن الاحنف

أسأت اذ أحسنت ظنى بكم　　والحزم سوء الظن بالناس

ولكن آراءه لا تروق لبعض الخياليين الذى يعيشون فى واد من الاوهام ، ويسرهم القول بأن الحياة عدل و نعيم ، والانسان فيها ملاك رحيم .

ألفاظه وأساليبه ومميزاته

لقد سما ابو الطيب الى درجة ممتازة فى رصانة القول وتنوع اساليبه ودقة معانيه ، وروائع تصوراته ، وبديع اخيلته ، وان كان دون غيره فى صقل العبارات ، وتوشية الكلمات ، ومراعاة المحسنات ، اذ ليس ذلك من فنه ، ولا هو من المبرزين فيه رغم شيوعه فى عصره ، على ان شعره على وجه عام لا يخلو من مميزات عصره من حسن الذوق ، وعذوبة اللفظ ، ودقة المعنى إذ الشاعر مهما قويت عنده ملكة الاستقلال وبرزت شخصيته .لا يستطيع الخروج عن مألوف اهل الأدب فى زمانه ، ولكنه استطاع ان يخرج عليهم فى ابرازه معانيه الشريفة ، وافكاره الدقيقة ، فى اى لفظ كان ، وعلى أى أسلوب تهيأ له ولو لم يجر على مشهور القياس أو ينطبق على وجوه البلاغة فعل ذلك وثوقا بنفسه لاطلاعه على اسرار اللغة وحفظه الكثير من غريبها كقوله

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه　　بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

المعنى : « وفاؤكما يا صاحبي باسعادى على البكاء كهذا الربع ، ثم بين وجه الشبه فقال : اشجى الربع دارسه وأشفى الدمع ساجمه (١) »

وقوله

أنى يكون أبا البرايا (٢) آدم　　وأبوك والثقلان (٣) أنت محمد

المعنى : — « كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان

---

(١) منهملة (٢) جمع البرية أى الخلق (٣) الانس والجن

هذا الى كثير من أمثاله . مما ركب فيه الصعب ، وظهر فيه التعقيد اللفظى والمعنوى ، وكان ابو الطيب كثير الافتنان فى الاساليب فيورد المعنى المبتذل فى ثوب قشيب وأسلوب جيد السبك ، حتى يصير كالحسناء تعجب النظارة وربما اتبعها بما يوضح غامضها من تذييل بمثل أو حكمة . حتى يسوغ لك فى كثير من المواطن أن تضع أداة استفهام بين شطرى البيت للدلالة على أن الثانى جواب عن سؤال نشأ من الأول . وهذا ما يسميه علماء المعانى بشبه كمال الاتصال كقوله

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن   يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله : لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والاقدام قتال

وقوله : من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

وما أشبه هذا الاسلوب بطريقة البحث التى ابتكرها سقراط فيلسوف اليونان وواضع علم الاخلاق ، وسميت طريقة التوليد فقد كان يتحدث إلى تلاميذه فيسأل ثم يجيب ولا يزال فى حوار مع تلاميذه حتى يصل الى النتيجة التى يريدها . اذ كان يعتقد أن النفس مشتملة على الحقائق كما تشتمل الأم على الجنين وأن عمل الفيلسوف هو استخراج الحقائق من النفس كما أن عمل القابلة هو استخراج الجنين من الأم

وهذه الطريقة هى التى ارتضاها علماء التربية . فلا غرو اذا سمينا سقراط بالاستاذ الاول . وكثيراً ما كان المتنبي يقصد الى الاسلوب التعليمى فى شعره ، فيورد المعنى الواحد فى أساليب مختلفة ليثبت فى الاذهان ، ويسهل على اللسان فيجرى على ألسنة الناس بصور مختلفة وأساليب عدة كقوله

من اقتضى بسوى الهندى (١) حاجته   أجاب كل سؤال عن هل بلم

مع قوله : من أطاق التماس شيء غلابا (٢)   واقتسارا لم يلتمسه سؤالا

وقوله : وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له   ولكنه فى فعله والخلائق

مع قوله : اذا لم تشاهد غير حسن شياتها (٣)   وأعضائها فالحسن عنك مغيب

---

(١) السيف (٢) غلابا واقتسارا اى غلبة وقهرا (٣) جمع شية السمة والعلامة

وكقوله فى المدح بالجود والشجاعة

كأنك بالفقر تبغى الغنى ... وبالموت فى الحرب تبغى الخلودا

مع قوله كأنك فى الاعطاء للمال مبغض ... وفى كل حرب للمنية عاشق

وقد نهج أبو الطيب فى شعره أحيانا نهج الواعظ المرشد، يأمر وينهى، ويسرد الحكم، ويضرب الامثال، وهذا ما يسميه أدباء الغرب بلهجة «الاستاذية» وقد حداه الى ذلك غروره بنفسه، ولا سيما إذا كان يخاطب أميراً أو عظيما كقوله يخاطب كافوراً

فلا ينحلل فى المجد مالك كله ... فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذى المجد كفه ... إذا حارب الاعداء والمال زنده (١)

كان المتنبى أحيانا يذكر أشياء متفرقة ثم يتبعها بحكم عام من مثل أو حكمة وهذا يشبه ما يسميه علماء البديع بالجمع كقوله

بم التعلل لا أهل ولا وطن ... ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أريد من زمنى ذا أن يبلغنى ... ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن

وكقوله

وجدت المدامة غلابة ... تهيج من القلب أشواقه

تسىء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقه

وأنفس ما للفتى لبه ... وذو اللب يكره انفاقه

والمستقصى شعر المتنبى يرى فيه أسلوباً خطابياً أى اسلوب الخطباء الذين يقصدون الى الفخر تارة والى التهديد والوعيد أخرى، ويختارون له الالفاظ السهلة، والاساليب المكررة، ليفطن له السامع وقد تأثر به شعراء الجاهلين كعمرو بن كلثوم فى معلقته والحرث بن عباد فى قصيدته إذ يقول الاول فى معلقته يفتخر بقومه

وقد علم القبائل من معد ... إذا قبب بابطحها بنينا

بأنا المطعمون اذا قدرنا ... وأنا المهلكون اذا ابتلينا

---

(١) الزند موصل طرف الذراع فى الكف

وانا المانعون لما أردنا   وانا النازلون بحيث شينا

ويقول الحرث بن عباد فى قصيدته التى حض فيها بكراً على الاخذ بثار ابنه بجير من مهلهل التغلبي

قربا مربط النعامة (١) منى   ان بيع الكريم بالشسع (٢) غال
قربا مربط النعامة منى   لقحت (٣) حرب وائل عن حيال (٤)
لم أكن من جناتها علم الله   وانى بشرها اليوم صال

فنسج على منوالها المتنبى فقال

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء   أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن الفيافى أنا ابن القوافى   أنا ابن السروج أنا ابن الرعان (٥)
طويل النجاد طويل العماد   طويل القناة طويل السنان

وقد يبهرك المتنبي حينما تقرأ شعره الذى تمثلت فيه العواطف المختلفة، من تعجب واستفهام، وتحسر واستهجان، وفرح وترح، مما يظهر عادة على مسارح التمثيل فتتأثر به الوان الوجوه التى هى مرآة ترتسم عليها الانفعالات النفسانية. ويحدث ذلك من تكرار النداء او الاستفهام أو التعجب كقوله:

عيد بأية حال عدت يا عيد   بما مضى او لأمر فيك تجديد

وكقوله فى التغزل:

أريقك ام ماء الغمامة ام خمر   بفى برود وهو فى كبدى جمر
أذا الغصن امذا الدعص (٦) ام انت فتنة   وذيا الذى قبلته البرق أم ثغر

وهذا الاسلوب يجدر أن يسمى الاسلوب التمثيلى، لا بمعنى التمثيل المعروف بل بمعنى أخص منه لأن من ينشد هذه الابيات ونحوها يمثل معانيها فى حركاته واشاراته ولون وجهه وجرس نغمه

معانيه واخيلته

قصد المتنبي الى المعانى التى تعتلج فى صدور الناس وتعبر عن آمالهم وآلامهم

(١) اسم فرس الحرث من عباد (٢) سير يشد به النعل (٣) لقحت الناقة حملت وقبلت لقاح الفحل (٤) العقم وعدم الحمل (٥) جمع رعن انف الجبل (٦) كثيب الرمل المجتمع

فابرزها فى عبارات جيدة السبك وفى أسلوب يشعر بالعظمة تارة وينم عن الرقة وسلامة الذوق أخرى فظهرت المعانى فى صور رائعة وأساليب طريفة فارتسمت فى الصدور وحركت كامن الشعور وجرت على ألسنة الخاصة والعامة ورددها لسان الكون حتى عمت المشرقين وطبقت الخافقين وكأن هذه المعانى كانت مواتا فاحياها فاقرا لناس بانها له نز ولا على حكم الشرع « من احيا أرضا ميتة فهى له »

الشعر التمثيلي والقصصي

لم يقتبس شعراء العرب من ادب اليونان فيحاكوا شعرهم التمثيلي والقصصي كما اقتبسوا من حكمتهم وفلسفتهم ولعل السر فى ذلك امران :

الاول — ان العرب لم ينقلوا شعر اليونان كما نقلوا علومهم وفلسفتهم.

الثانى — محافظة العرب على اسلوب شعرهم القديم اذ كان ولا يزال أكبر مميزاتهم وعنوان خصائصهم.

المتنبي وحكم ارسطو

أسبقنا الكلام على فلسفة المتنبي وأثبتنا له آراء خاصة فى الحياة أودعها ابياته الحكيمة وشعره الواعظ ووافق فيها ارسطو ولست أدرى ولا المنجم يدرى أنعد ذلك من توافق الخواطر بينهما وهو اتفاق عجيب لم نعهد مثله بين نابغين مفكرين ينتمى كل منهما الى أمة وعصر وحضارة تباين كل المباينة ما ينتمى اليه الآخر من ذلك أم نقول ان ابا الطيب الذى عاش فى القرن الرابع الهجرى درس فلسفة ارسطو الذى عاش فى القرن الرابع قبل المسيح وعدها تراث الحكماء وعقدها فى شعره ويعزز هذا الرأى ان شاعرنا وجد

فى عصر شغل فيه العلماء بترجمة علوم اليونان من طب ومنطق وهيئة وهندسة وحكمة وفلسفة فليس بغريب ان يكون المتنبي وقف على آراء ارسطو وفلسفته فى الحياة ونظمها فرائد فى شعره

غير أنه لا يمكننا الجزم فى كلا الاحتمالين برأى قاطع وعلى كلتا الحالتين فالمتنبي بالغ غاية الفضل ونهاية النبل فان آراءه ان كانت نتيجة بحث ودرس فقد تعمق فيه تعمق الفلاسفة وان كان قد نقلها عن ارسطو فقد زاد عليه الايجاز والبلاغة والنظم وأضاف ثروة جديدة الى لغته مما يشهد له بفضل علمه وغزارة أدبه وانا لذا كرون طائفة من موافقات المتنبي وارسطو او قل من حكم ارسطو التى نقلها المتنبي لتكون قيد الخواطر وشرك النواظر

ارسطو : اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة

المتنبي : وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الاجسام

ارسطو : من استمرت عليه الحوادث لم يألم بحلولها

المتنبي : اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

ارسطو : تعاقب أيام الزمان مفسدة لأحوال الحيوان

المتنبي : فما ترجى النفوس من زمن أحمد حاليه غير محمود

ارسطو : الالفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو احساسهم عن دركها

المتنبي : بذوى الغباوة من انشادها ضرر كما تضر رياح الورد بالجعل

ارسطو : ترداد حركات الفلك يحيل الكائنات عن حقائقها

المتنبي : ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذبا

ارسطو : قد يفسد العضو لصلاح اعضاء كالكى والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاحها

المتنبي : — لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل

أرسطو : — لسنا نمنع عن الائتلاف بالأرواح وانما نمنع عن اجتماع الأجسام فان ذلك من طبائع البهائم

المتنبي : وما كل من يهوى يعف إذا خلا
عفافى ويرضى الحب والخيل تلتقى
أرسطو : الدنيا تطعم أولادها وتأكل مولودها
المتنبي : أبدا تسترد ما تهب الدنـ ـيا فليت جودها كان بخلا
أرسطو : النظر الى ما يكره الانسان يسقم القلب
المتنبي : واحتمال الاذى ورؤية جانيـ ـه غذاء تضوى به الاجسام
أرسطو : الجبن ذلة كامنة فى نفس الجبان فاذا خلا أظهر الشجاعة
المتنبي : واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الحرب وحده والنزالا
أرسطو : من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم
المتنبي : ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر
أرسطو : حلول الفناء فى عظيم الامور كحلوله فى صغيرها
المتنبي : فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم
أرسطو : اتعب الناس من بعدت همته . واتسعت معرفته وضاقت مقدرته
المتنبي : واتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهى النفس وجده
ارسطو : الظلم من طبع النفس وانما يصدها عن ذلك إحدى علتين
إما علة دينية لخوف معاد وإما علة سياسية لخوف السيف
المتنبي : والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
ارسطو : النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدركها اماكن البقاء وهذه
حال يعجز الخلق عن ركوبها
المتنبي : سبحان خالق نفسى كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم
ارسطو : اعجز العجزة من قدر ان يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل
المتنبي : ولم ار فى عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

سرق المتنبى من الشعراء

ذكرنا فى الفصل السابق ما اقتبسه المتنبى من حكم ارسطو . وسنذكر فى هذا الباب طائفة من سرقاته من الشعراء . ممهدين لذلك بذكر أنواع من هذا

الباب الغامض ، الذى لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وهذه الانواع منها النسخ أو الاهتدام ، والنظر أو الملاحظة ، والعكس ، والاغارة والسرق ،

فالنسخ أو الاهتدام هو سرق مادون البيت كقول النجاشى

وكنت كذى رجل رجلين صحيحة   ورجل رمت فيها يد الحدثان

فقد نسخه كثير فأخذ الشطر الثانى وغير لفظه فقال « ورجل رمى فيها الزمان فشلت » . وأما النظر أو الملاحظة فهو أن يتساوى المعنيان دون اللفظ مع خفاء الاخذ كقول أبى الشيص « أجد الملامة فى هواك لذيذة »

نظر فيه أبو الطيب فقال « أأحبه وأحب فيه ملامة »

أما العكس فهو أن يغير البيت فيجعل مكان كل لفظة ضدها ، كقول ابن أبى قيس ويروى لابى حفص البصرى

سود الوجوه لئيمـــة أحسابهم   فطس الأنوف من الطراز الآخر

فقد عكس بيت النابغة الذبيانى فى مدح آل جفنة

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الانوف من الطراز الاول

والاغارة : أن يذكر الشاعر معنى بديعاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً ، فيروى له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد

نرى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

فقال متى كان الملك فى بنى عذره ، انما هو فى مضر وأنا شاعرها ، فغلب الفرزدق جميلا على هذا البيت وروى له

أما السرق فهو أن ينقل معنى البيت دون لفظه مع بعد المأخذ وسيأتى أمثلته فى سرق ابى الطيب . سئل أبو عمرو بن العلاء . أرأيت الشاعرين يتفقان فى المعنى ويتواردان فى اللفظ ، لم يلق واحد منهما صاحبه ، ولم يسمع شعره فاجاب تلك عقول الرجال توافت على ألسنتها . وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال . الشعر جادة ، وربما وقع الحافر على موضع الحافر . ورغم ما أجاب به فانا لا نبرىء ساحته من اختلاسه معانى الشعراء والتصرف فيها

بالاختراع حتى يشرف لفظها ، ويسمو معناها ، فتنسب اليه بقانون وضع اليد أن صح هذا التعبير

طائفة من سرقاته

بشار بن برد كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
أخذه ابو الطيب وذكر الرماح مكان الاسياف فقال

وكأنما كسى النهار بها دجى ليل وأطلعت الرماح كواكبا

مسلم ابن الوليد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ألم به أبو الطيب فقال

وما ريح الرياض لها ولكن كساها دفنهم فى الترب طيباً

أبو نواس وهو من قلائد شعره فى وصف الخمر

اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى دعا همه من صدره برحيل

نقله أبو الطيب الى معنى آخر فقال

وما هى الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت فى قلبه رحل العقل

بعض العرب وهو من الامثال السائرة

اذا بل من داء به ظن أنه نجا وبه الداء الذى هو قاتله

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن

وإن أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

عبد الله بن طاهر

وجربت حتى لا أرى الدهر مغربا على بشىء لم يكن فى تجاربى

أخذه أبو الطيب فقال .

قد بلوت الخطوب حلواً ومراً وسلكت الايام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغـــرب قولا ولا يجدد فعلا

قال ابن المعتز فى عجز بيت « فالشمس نمامة والليل قواد »

أخذ المتنبي هذا المعنى و نظمه فى بيت من قلائد شعره بل هو أمير شعره وهو أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

ولا يخلو المتنبي من إحدى ثلاث ، إما أن يكون قد ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أحق به وأولى ، وإما أن يكون عثر بالموضع الذى عثر به ابن المعتز فأربى عليه ، وزاد فى معناه ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه ، وتفرد به ، فلله دره ، وناهيك بشرف لفظه ، و براعة نسجه ، وقد أحسن إذ جمع أربع مطابقات فى بيت واحد . وكان الناس يعجبون من البحترى إذ جمع ثلاث مطابقات فى بيت واحد وهو قوله

وأمة كان قبح الجور يسخطها دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ، ورشاقة الصنعة

والقرءان الكريم هو المثل الأعلى فى ذلك فقد جمع بين أربع مطابقات فى قوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى »

الغزل ووصف الحرب

قد انفرد أبو الطيب باستعمال ألفاظ الغزل فى أوصاف الحرب ، فقد حذق ذلك وأعرب به عن مهارته فى التلاعب بالألفاظ ، والتصرف فى مناحى القول . فمن ذلك قوله

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وقوله وهو من فرائده

شجاع كأن الحرب عاشقة له اذا زارها فدته بالخيل والرجل

وقوله

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل

ما زال طرفك يجرى فى دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل

وقد تقدم أمثلة لذلك

ولعه بالتصغير

اولع المتنبي بالتصغير الى حد لم يرد عن شاعر غيره . وقد سأل ابن القارح أبا العلاء المعرى عن ذلك فاجاب كما فى رسالة الغفران « كان الرجل مولعا بالتصغير ، لايقنع منه بخلسة المغير ، ولا ملامة عليه ، انما هى عادة صارت كالطبع تغتفر مع المحاسن » وقد أصاب المعرى فى حكمه ، اذ هى لوازم يختلف فيها شاعر عن شاعر . كما تختلف الوجوه والسمات ، وسماها المعرى عادة كالطبع إذ هى مرآة طبعه وخلقه .

وسبب ذلك شموخ شاعرنا بأنفه ، وغلوه فى استعظام نفسه ، اذ كان يعد نفسه فى مصاف العظماء والملوك فيقول فى تهنئة كافور

انما التهنئات للاكفاء ولمن يدنى من البعداء
وفؤادى من الملوك وان كا ن لسانى يرى من الشعراء

وأكبر مظاهر . العظمة عنده مبالغته فى شعره تارة ، وولوعه بالتصغير أخرى ، الا ترى اعجابه بالعظمة باديا ، والتشدق بطنين الالقاب مجسما ، وترى نفسه منطوية على شوق للمجد لاتشتفى لوعته ، وحقد على الدنيا لاتفثأ حميته ،

وغيظ على الايام كالنار فى الحشا ولكنه غيظ الاسير من القيد

فاذا ازدرى شيئا ضئيلا أو رجلا حقيرا فهو ازدراء يشوبه الضغن ، ويضاعفه العظمة التى ادعاها لنفسه ، فاذا الشئ شوىء ، واذا الرجل رجيل ، وأكثر مايقصد الى التصغير حين يهجو مغيظا محنقا او يستخف متعاليا محتقرا كقوله فى كافور

أولى اللئام كويفير بمعذرة فى كل لؤم وبعض العذر تفنيد

أو قوله فيه

أخذت بمدحه فرأيت لهواً مقالى للاحيمق يالئيم

أو يقول : نوبيه لم تدر ان بنيها النـــوبي دون الناس يعبد فى مصرا
أو حين يقول فى ذم أهل زمانه « أذم الى هذا الزمان اهيله » أو حين يقول فى الشعراء الذين يزاحمونه «افى كل يوم تحت ضبنى شويعر » أو اذا أراد ان يحتقر قوما قصرت بهم اعمالهم عن السمو الى مايتطلعون اليه كقوله فى بنى كلاب

أرادت كلاب ان تفوز بدولة   لمن تركت رعى «الشويهات» والابل

وهو اذا لم يصغر المهجو باللفظ صغره بالمعنى فكان أعداؤه عنده شيئا حقيراً

لا يستحقن الفتى بعدوه   أبداً وإن كان العدو ضئيلا

آثاره

نثره : للمتنبي نثر لطيف يذكرنا بنثر البديع الهمذانى والصاحب بن عباد فى حسن تدبيجه وبديع خياله ولم يصل الينا منه غير أسطر قليلة . من ذلك أنه مرض مرة فكان له صديق يعوده فلما أبل انقطع عنه فكتب اليه يقول : « وصلتنى وصلك الله معتلا وقطعتنى مبلا فان رأيت الا تحبب العلة الى ولا تكدر الصحة على فعلت ان شاء الله »

ديوانه : كان المتنبي يختار من قصائده أحسنها فيكتبها فى دفاتر يحملها معه أينما توجه فيعيد النظر فيها ويقرؤها على بعض النحويين كابن جنى وغيره . ولما قتل جمعت أشعاره ورتبت على الحروف الابجدية وهو ديوان شعره وقد طبع فى الهند ومصر والشام وأوربا — وكانت شهرته أثارث الحسد فى قلوب كثير من الأدباء والشعراء فتصدوا لانتقاده وتخطئته وقام أنصاره يدافعون عنه فى كل مصر وزمان منذ ألف سنة الى اليوم حتى بلغت شروح ديوانه نحو خمسين مصنفا منها ماهو مخطوط وماهو مطبوع وأشهرها شرح العكبرى وبهامشه كتاب الصبح المنبي عن حيثية المتنبي .

وأحدث شروحه شرح العلامة الشيخ ناصيف اليازجى وأتمه ابنه الشيخ ابراهيم واسمه « العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب » . وأفرد

أبو منصور الثعالبي فى كتابه « يتيمة الدهر » نحو سبعين صفحة فى محاسن المتنبي ومساوئه .

متناول كلامه

تناول شعر المتنبي كثيراً من الأغراض المشهورة كالمـــدح والهجاء، والوصف والرثاء، والفخر والاعتذار، وقد سبق نماذج له فى بعض هـذه الأغراض

المدح : سلك المتنبي فى مديحه سبيل الايضاح والاشادة بذكر الممدوح مع الأطالة فيه فلم يعمل بوصية جرير لبنيه فى ذلك . إذ قال لهم يابنى اذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة، فانه ينسى أولها، ولا يحفظ آخرها، وإذا هجوتم فخالفوا، ولم يأبه بقول الشاعر

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

قال أهل الأدب : إن الفضائل الانسانية التى يمدح بها الانسان بحق . هى العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، فهل مدائح شاعرنا تحوى هذه الفضائل ؟ ان من اطلع على مدائح المتنبي فى سيف الدولة أو غيره ممن مدحهم يرى مدائحه دائرة حول هذه الفضائل، وربما كانت الأبيات القليلة منها تشملها كلها . اقرأ أبياته الثلاثة الآتية فى مدح سيف الدولة، تعلم أنه مدحه فيها بالشجاعة والكرم والذكاء الذى هو نتاج العقل إذ يقول

تظل ملوك الأرض خاشعة له تفارقه هلكى وتلقاه سجدا
وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل مايحيي التبسم والجدا
ذكى تظنيه طليعة عينه ترى قلبه فى يومه ماترى غدا

جارى المتنبي الشعراء الجاهليين فى استهلال مدائحه بالنسيب، وذكر الطلول والرسوم، فهو فى ذلك من المحافظين إذ يقول

بليب بلى الاطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

بيد أنه كان أحيانا لايحسن التخلص من النسبب الى المديح ، فقد كان تخلصه ضعيفاً تافهاً فى قصيدته التى مدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله إذ قال

على الأمير يرى ذلى فيشفع لى الى التى تركتنى فى الهوى مثلا
أيقنت أن سعيداً طالب بدمى لما بصرت به بالرمح معتقلا

فقد تمنى فى البيت الأول أن يكون له الأمير قواداً ثم أتبعه بالبيت الثانى الذى هو مقو لمعناه فى القيادة فدل على أنه يشفع له فان أجيب الى مساعدة أبي الطيب فذاك والا رجع الى القهر ولم يستطع أن يقول كما قال أبو نواس

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد هوانا لعل الفضل يجمع بيننا
أمير رأيت المال فى نعماته مهيناً ذليل النفس بالضيم موقنا

فان أبا نواس قال يجمع بيننا ، ولم يقل يشفع والشفاعة رغبة وسؤال ثم اتبع ذلك بذكر المال والسخاء ، فكأنه أشار الى أن جمعه بينهما بالمال خاصة بأن يجزل نواله فيتزوجها أو يتسرى بها ومما عيب على أبي الطيب أيضا قوله فى ممدوحه هذا

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

فانظر الى تخلصه الدال على فساد ذوقه إذ يريد أن يجعل الناس جمالا فيركبهم إلى ممدوحه حتى قال الصاحب ابن عباد ومن الناس أمه فهل ينشط لركوبها إلى ممدوحه

وأين هذا فى حسن التخلص من قول أبي تمام يمدح عبد الله بن طاهر

تقول فى قومس قومى وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ورغم هذا فانا لانبخس المتنبي حقه ، ولا نغمطه فضله ، فى قصائد استهلها بالابيات السائرة ، والحكم النادرة ، ورجع فيها الى فطرته من حب العظمة ، فجرت على لسان الادباء منذ ألف سنة وستبقى الى ماشاء الله فما أبدع ابتداءاته إذ يقول فى قصيدة يمدح بها سيف الدولة

لكل امرىء من دهره ماتعودا   وعادة سيف الدولة الطعن فى العدا

ويقول فى أخرى

فديناك من ربع وان زدتنا كربا   فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقوله: أتراها لكثرة العشاق   تحسب الدمع خلقة فى المآقى

نماذج من شعره فى المديح

ومن جيد شعره قوله يمدح سيف الدولة ويذكر بناء ثغر الحدث وهى قلعة للروم استولى عليها سيف الدولة بعد قتال عنيف سنة ٣٤٣ وهى من النصوص

على قدر أهل العزم تأتى العزائم   وتأتى على قدر الكرام المكارم
ويعظم فى عين الصغير صغارها   وتصغر فى عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه   وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم (١)
ويطلب عند الناس ماعند نفسه   وذلك مالا تدعيه الضراغم (٢)
يفدى أتم الطير عمراً سلاحه   نسور الفلا أحداثها والقشاعم (٣)
وما ضرها خلق بغير مخالب (٤)   وقد خلقت أسيافه والقوائم (٥)
هل الحدث الحمراء تعرف لونها   وتعلم أى الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله   فلما دنا منها سقتها الجماجم (٦)
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا   وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت   ومن جثث القتلى عليها تمائم (٧)
طريدة (٨) دهر ساقها فرددتها   على الدين بالخطى (٩) والدهر راغم (١٠)
تفيت الليالى كل شىء أخذته   وهن لما يأخذن منك غوارم

---

(١) الخضارم بفتح الخاء جمع خضرم وهو الكثير من كل شىء (٢) جمع ضرغام وهو الأسد (٣) النسور الطويلات العمر (٤) جمع مخلب وهو الظفر لسباع الطير (٥) جمع قائم وهو للسيف مقبضه (٦) جمع جمجمة وهو العظم فيه الدماغ (٧) جمع تميمة وهو العوذة من سحر أو مرض (٨) طريد اى مطرودة فهى فعيلة بمعنى مفعولة (٩) الرماح (١٠) أى كاره واصل الرغم أن يلتصق الأنف بالرغام اى التراب

وقال أيضا يمدح سيف الدولة

ملك (١) سنان قناته وبنانه ... يتباريان دما وعرفا (٢) ساكبا
كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهـدى الى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس فى كبد السماء وضوءها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا ... جودا ويبعث للبعيد سحائبا

ومن مدائحه فى كافور

ولله سر فى علاك وإنما ... كلام العدا ضرب من الهذيان (٣)
أتلتمس الاعداء بعد الذى رأت ... قيام دليل أو وضوح بيان
رأت كل من ينوى لك الغدر يبتلى ... بغدر حياة أو بغدر زمان
قضى الله يا كافور أنك واحد ... وليس بقاض أن يرى لك ثان
فمالك تختار القسى وإنما ... عن السعد ترمى دونك الثقلان
ومالك تعنى بالأسنة والقنا ... وجدك (٤) طعان بغير سنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده ... وأنت غنى عنه بالحدثان (٥)
لو الفلك الدوار أبغضت سيره ... لعوقه شىء عن الدوران

٢ ـ الهجاء

لم يسلك أبو الطيب فى هجائه سبيل التعريض أو التلويح ، ولم يكن رأيه فى الهجاء ، رأى أبى عمرو بن العلاء ، إذ قال خير الهجاء ماتنشده العذراء فى خدرها ، فلا يقبح بمثلها كما جاوز فيه أدب الاسلام الذى شدد النكير على الهجاء المقذع ، فقد قال سيد الخلق « من قال فى الأسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر » وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للحطيئة . إياك والهجاء المقذع ، قال وما المقذع يا أمير المؤمنين ، فأجابه «أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء،

(١) السنان حديدة مدببة توضع فى طرف القناة (٢) المعروف (٣) هذى تكلم بغير معقول لمرض
(٤) حظك (٥) حدثان الدهر نوائبه

وتبني شعرا على مدح قوم وذم لمن تعاديهم »

والمتنبي كثيرا ما خالف أدب عمر فى هذا ألا ترى أبياته التى فضل فيها سيف الدولة على كافور إذ يقول :

وفارقت خير الناس قاصد شرهم وأكرمهم طرا لألأمهم طرا

أضف إلى ذلك انه خرج به عن وجه البلاغة، فقد أجمع الادباء رأيهم على ان أبلغ الهجاء ما سلك به سبيل التهكم ، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه فعلق بالقلب ، ولصق بالنفس ، وما عدا ذلك فهو سباب وفحش ، وهو ما قصد اليه المتنبي فى هجائه ، فهو إذا هجا نفث كل حقده على وجه لايترك للمهجو رجاء فى معاودته ، حتى اذا أراد بعد ذلك مدحه ما أمكنه غسل ما لحق بالمهجو من تلك الوصمات التى الصقها به فاسقطه إلى الأبد هذا كافور الاخشيد وهذا ابن ضبه الذى كان هجاؤه والتعرض لامه سببا فى قتله ، انظر كيف الفحش فى هجائهما ما ذا يفيد المدح فى عبد يقال فيه

لا تشتر العبد إلا والعصا معه أن العبيد لانجاس مناكيد

وكيف يغسل المدح من رجل دنس عرضه بمثل قوله

كذا خلقت ومن ذا الـــذى يخالف ربــه
إن أوحشتك المعالى فانها دار غربــة
او آنستك المخــازى فانهــا لك نسبة

ومن قوله يهجو كافورا

العبـــد ليس لحر صالح بأخ لو أنه فى ثياب الحر مولود
من علم الاسود المخصى (١) مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد (٢)
أم أذنه فى يد النخاس (٣) دامية أم قدره وهو بالفلسين (٤) مردود
وذاك ان الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

---

(١) المخصى : من سل خصياه (٢) جمع اصيد وهو مائل العنق كبرا (٣) بياع الدواب والرقيق وحرفته النخاسة بفتح النون وكسرها (٤) الفلس بفتح الفاء اقل النقود قيمة

٣ـ الفخر

هو المدح نفسه غير ان الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن فى المدح حسن فى الفخر كما ان ما قبح فيه قبح فى الفخر وقد كان المتنبي فخورا بنفسه يعدها فى مرتبة الملوك ويحسب الناس دونه فيقول لكافور الاخشيد ملك مصر

إنما التهنئات للأكفاء ولمن يدنى (١) من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضو بالمسرات سائر الاعضاء
وفؤادى من الملوك وان كا ن لسانى يرى من الشعراء

ومن قوله فى الفخر

ورب جواب (٢)عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام (٣)
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة جواد ورمح ذابل وحسام

وقوله :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت ملتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقوله :

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

وقوله : وما كمد الحساد شىء قصدته ولكنه من يزحم البحر يغرق

٤ـ الوصف

هو أهم الفنون التى برع فيها ابو الطيب حتى استحق ان يسمى الشاعر الوصاف فقد أبدع فى وصف مناظر الطبيعة من البساتين النضرة والمياه الجارية ووصف الابل والجياد والغزلان والآساد

---

١) يتقرب فهى افتعل من دنا (٢) يريد جيشا ولما سمى الجيش جوابا جعل حروفه جوادا ورمحا وحساما (٣) غبار

ومن جيد وصفه قوله يصف شعب بوان وهى من مقرر النصوص الأدبيـــة

مغانى (١) الشعب طيبا فى المغانى   بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها   غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنه (٢) لو سار فيها   سليمن لسار بترجمان (٣)
طبت (٤) فرساننا والخيل حتى   خشيت وان كرمن من الحران (٥)
غدونا تنفض الاغصان فيها   على اعرافها (٦) مثل الجمان (٧)
فسرت وقد حجبن الحر عنى   وجئن من الضياء بما كفانى
والق الشرق (٨) منها فى ثيابى   دنانيرا تفر من البنان
لها ثمر تشير اليك منهـــا   بأشربة وقفن بلا أوان (٩)
وأمواه يصل ١٠ بها حصاها   صليل الحلى فى أيدى الغوان ١١
اذا غنى الحمام الورق ١٢ فيها   أجابتـــه أغانى القيان ١٣
ومن بالشعب احوج من حمام   اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا   وموصوفاهما متباعدان ١٤
يقـــول بشعب بوان حصانى   أعن هذا يسار الى الطعان
فقلت اذا رأيت أبا شجـــاع   سلوت عن العباد وذا المكان
فان الناس والدنيا طريق   الى من ماله فى الناس ثان
بعضد الدولة امتنعت وعزت   وليس لغير ذى عضد يدان
ولم أر قبله شبلى ١٥ هزبر   كشبليه ولامهرى ١٦ رهان

---

١ جمع مغنى وهو المكان الذى فيه اهله ٢ الجن ٣ الذى يفسر كلام غيره بلغته ٤ دعت ٥ الحران اسم من حرن اى صار حرونا لا ينقاد وفرس حرون اذا اشتد به الجرى وقف ٦ عرف الفرس الشعر الذى على ناصيته ٧ اللؤلؤ او هو حب صغير من فضة يشبه اللؤلؤ ٨ الشرق . الشمس يقال طلع الشرق اى الشمس ولا يقال غرب الشرق ٩ جمع آنية وهى الاوعيه ١٠ يصل . يصوت ١١ جمع غانية وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ١٢ جمع ورقاء وهى التى فى لونها سواد و بياض ١٣ جمع قينة وهى المغنية ١٤ المعنى انهم قد بعدوا عن الحمام بالانسانية ووصفها ولكن العجمة تجمعهما فالحمام اعجم وهم اعاجم ١٥ الشبل ولد الاسد ١٦ المهر الصغير من الخيل

وقد تقدم نماذج فى وصف الاسد والخيل والغزال وآلات القتال فارجع اليها اذا شئت

٥ - فى الرثاء

أسلفنا الكلام فى أن رثاء ابى الطيب لم يصدر عن عاطفة حقيقية ووجدان حساس، ما عدا مراثيه فى أبى شجاع فاتك وفى أخت سيف الدوله الكبرى، وفى ابنه الصغير فمن قوله يرثى أبا شجاع

الحزن يقلق والتجمل(١) يردع　　و الدمع بينهما عصى (٢)طيع
يتنازعان دموع عين مسهد ٣　　هذا يجىء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبى شجاع نافر　　والليل معى والكواكب ظلع ٤
والمجد أخسرو المكام صفقة　　من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل فى زمانك منزلا　　من ان تعايشهم وقدرك أرفع

ومن قوله يرثى أخت سيف الدولة الكبرى

ولعمرى لقد شغلت المنايا　　بالاعادى فكيف يطلبن شغلا
خطبة للحمام ليس لها رد　　م وان كانت المسماة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفئا　　ذات خدر أرادت الموت بعلا

وهذا أحسن مارثى به شاعر عقيلات الملوك

وقوله فى رثاء ابن سيف الدولة

عزاءك سيف الدولة المقتدى به　　فانك نصل (٥)والشدائد للنصل
تخون المنايا عهده فى سليله ٦　　وتنصره بين الفوارس ٧ والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبره　　ويبدو كما يبدو الفرند ٨ على الصقل

---

١ الصبر ٢ اى الدمع بين الصبر والجزع عاص للاول مطيع للثانى ٣ كثير الارق ٤ يريد ان الليل من طوله كأنه قد اعيا من المشى فوقف وان الكواكب كانها ظالعة عرجاء لاتقدر على السير
٥ النصل حديدة السيف ٦ السليل الولد والسليلة الانثى ٧ الفوارس جمع فارس وهو راكب الفرس والرجل جمع راجل وهو الماشى ٨ جوهر السيف ماؤه

وما الموت الا سارق دق شخصه ،، يصول بلا كف ويسعى بلارجل

٦ - التغزل

التغزل والنسيب والتشبيب . هذه الكلمات تدل على معنى واحد ، وهو ذكر محاسن النساء ، وأحوالهن من ظعن واقامة ، وهي تباين الغزل الذى هو إلف النساء ، والتخلق بما يوافقهن ، فمن استعمل الغزل مكان التغزل فقد اخطأ، نبه على ذلك «قدامه» فى كتابه نقد الشعر[١]

وحق أن النسيب ان يكون حلو الالفاظ ، قريب المعانى . ظاهرها ، حسن الديباجة ، يطرب الحزين ويستخف الرصين ؛ وقد اعتاد الشعراء ان يبدءوا به قصائدهم ، ويقدموه على أغراضهم من مدح أو غيره ، استدرار لجزل القول ،وأحذقهم من أحسن التخلص منه الى الغرض المقصود فى مناسبة لطيفه ، فما أشبه ابيات القصيدة باعضاء الجسم التى اذا انفصل أحدها عن الآخر غادر بالجسم عاهة تنتقص محاسنه ، وتنقص جماله ، وقد سبق أن المتنبي كان لا يحسن التخلص أحيانا ، وقد اشتهر بالنسيب فى العصر العباسى جماعة من الشعراء ، منهم ابو نواس ، ومسلم بن الوليد المشهور بصريع الغوانى . والبحترى . اما أبو الطيب فهو فى تغزله مقل مجيد ومن مليح تغزله قوله فى ذكر ديار محبوبته

ودسنا باخفاف المطى ترابها فلا زلت استشفي بلثم المناسم[٢]
ديار اللواتى دارهن عزيزة بسمر القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثنى ينقش الوشى[٣] مثله اذا مسن[٤] فى أجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقى[٥] وشحت بالمباسم

وقوله: ان الذين أقمت واحتملوا أيامهم لديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا معهم وينزل حيثما نزلوا

١ ونقلت ذلك من كتاب العمدة لابن رشيق ص ٩٤ جزء ثان
٢ المنسم كمجلس خف البعير ٣ وشى الثياب نقشها ٤ تبخترن ٥ جمع ترقوة العظام التى فوق الصدر

٧ ــ الاعتذار والاستعطاف

الاعتذار هو الاحتجاز، من قولهم عذرت الدابة اذا جعلت لها عذارا يحجزها عن الشراد ، وعذرت الرجل جعلت له بقبول ذلك منه حاجزا بينه وبين العقوبة ، ومنه جارية عذراء والاستعطاف هو مصدر استعطفه سأله أن يعطف عليه

وقد ربأ المتنبى بنفسه من الوقوع فيما يعتذر منه ، أو أن كبره حمله على عدم اعترافه بما يقترفه من خطأ ، ولذا يندر أن يقع نظرك فى ديوانه على أبيات يعتذر فيها ، اللهم إلا قصيدته التى قالها عن لسان بنى كلاب يستعطف بها سيف الدولة عليهم ، ويعتذر فيها عن خروجهم عليه ، وهاك بعض أبياتها وهى مقررة فى النصوص الأدبية

بغيرك راعيا عبث الذئاب	وغيرك صارما (١) ثلم (٢) الضراب (٣)
وتملك أنفس الثقلين (٤) طرا (٥)	فكيف تحوز أنفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن	يعاف (٦) الورد (٧) والماء الشراب
طلبتهم على الامواه حتى	تخوف أن تفتشه السحاب
فبت لياليا لانوم فيها	تخب (٨) بك المسومة (٩) العراب (١٠)
يهز الجيش حولك جانبيه	كما نفضت جناحيها العقاب
ومنها : ترفق أيها المولى عليهم	فان الرفق بالجانى عتاب
وأنهم عبيدك حيث كانوا	اذا تدعو لحادثة أجابوا
وعين المخطئين هموا وليسوا	بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم	وهجر حياتهم لهم عقاب
وكم ذنب مولده دلال	وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم	فحل بغير جارمه العذاب

١ سيفا ٢ كسر ٣ المقارعة والضرب ٤ الانس والجن ٥ جميعا وتعرب مصدرا أو حالا ٦ يستقذر ٧ أى ورد الماء ٨ الخبب نوع من العدو ٩ المسومة من السمة أى العلامة اى الخيل ذوات الشيات ١٠ العربية

٨ ـ الاقتضاء والاستنجاز

اتصل أبو الطيب بكافور الاخشيد وكان يمنى نفسه بتقليده إياه إمارة أو ولاية ، وقد وعده كافور بذلك ثم ماطله ، فاخذ يستنجز موعوده ، وهذا مايسمى بالاقتضاء ، ومن حسنه أن يكون لطيفا شريفا ، فان الاقتضاء الخشن ربما كان سبب الحرمان ، وداعية القطيعة والهجران ، وقد كان اقتضاء أبى الطيب يلين الصخر ، ويستنزل القطر ، وقد سلك فيه سبيل أمية بن أبى الصلت . فى قوله لعبدالله بن جدعان

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك أن شيمتك الحياء

فمن قوله فى الاقتضاء

أبا(١) المسك ذا الوجه الذى كنت تائقا ... اليه وذا اليوم الذى كنت راجيا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده ... وكل سحاب لا أخص الغواديا (٢)
وغير كثير ان يزورك راجل ... فيرجع ملكا للعراقين واليا (٣)
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا ... لسائلك الفرد الذى جاء عافيا
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ... يرى كل مافيها وحاشاك (٤) فانيا

وقوله: وفى النفس حاجات وفيك فطانة ... سكوتى بيان عندها وخطاب

نادرة : لما أنشد المتنبى سيف الدولة قصيدته التى مطلعها

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل ... دعا فلباه قبل الركب والابل

ثم ناوله نسختها ومضى فنظر فيها سيف الدولة فلما انتهى الى قوله

يأيها المحسن المشكور من جهتى ... والشكر من قبل الأحسان لا قبلى
أقل أنل اقطع احمل علّ سلّ أعد ... زد هش بش تفضل ادن سر صل

فوقع سيف الدولة تحت أقل قد أقلناك وتحت انل يحمل اليه من الدراهم كذا وتحت اقطع قد اقطعناك ضيعة كذا (بيلاد حاب) وتحت احمل يقاد

---

١ كنية كافور لسواده ٢ جمع غادية وهى السحابة التى تبدو اول النهار ٣ اى يلى امر العراقين العربى والعجمى ٤ تنزيها لك وهى جملة اعتراضية دعائية

اليه الفرس الفلانى وتحت عل قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فاسل وتحت أعد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا وتحت زد يزاد كذا وتحت تفضل قد فعلنا وتحت ادن قد أدنيناك وتحت سر قد سررناك وقد بلغه أنه أراد سر من السرية فأمر له بجارية وتحت صل قد فعلنا وكان بحضرة سيف الدولة شيخ ظريف يسمى المعقلى فقال له يا مولاى قد فعلت به كل شىء سألكه فهلا قلت له لما قال هش بش هه هه هه يحكى الضحك فضحك سيف الدولة وقال له ولك أيضاً ما تحب وأمر له بصلة . وهذا البيت من الابيات الجامعة وقد نسج فيه أبو الطيب على منوال ديك الجن الذى يقول

أحل وأمر وضروا نفع ولن واخش ورش وابر وانتدب للمعالى

وهاك طائفة من رائع ابتداءاته ، وبدائع شعره ، فى أغراض شتى ، وقد زاد بها على من تقدم وسبق بها جميع من تأخر . فمنها حسن المطلع ، كقوله يهنئ سيف الدولة بأبلاله من مرضه

المجد عوفى إذا عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

ومنها المدح الموجه أى المدح من جهتين كالثوب ذى الوجهين كلاهما حسن كقوله لسيف الدولة

نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيـــا بأنك خالد

ذكر فى الشطر الأول كثرة ما استباحه من أعمار اعدائه وتلقاه فى الشطر الثانى بذكر سرور الدنيا يبقائه واتصال أيامه

ومنها حسن التقسيم :

ضاق الزمان ووجه الارض عن ملك ملء الزمان وملء الأرض والجبل
فنحن فى جذل والروم فى وجل والبر فى شغل والبحر فى خجل

ومنها ارسال المثل فى انصاف الابيات كقوله : « وخير جليس فى الزمان كتاب »

« ان المعارف فى أهل النهى ذمم » « مصائب قوم عند قوم فوائد »
« ومن قصد البحر استقل السواقيا » « وربما صحت الاجسام بالعلل »
« وما خير الحيـــاة بلا سرور » « بجبهة العير يفدى حافر الفرس »

«والجوع يرضى الأسود بالجيف» «وفى عنق الحسناء يستحسن العقد»
«أنا الغريق فما خوفى من البلل» «ومن فرح النفس ما يقتل»
«ليس الكحل فى العينين كالكحل»

ومنها ارسال المثلين فى البيت الواحد كقوله:

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب.
وقوله: فى سعة الخافقين مضطرب وفى بلاد من أختها بدل.
« ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف من الحمام.
« وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغيظ من عاداك من لا تشاكل.
« وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا.

ومن أبياته فى المواعظ والحكم قوله:

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأصعب من أن أجمع الجد والفهما
وقوله: وليس يصح فى الأذهان شئ اذا احتاج النهار الى دليل
وقوله ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
« ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد.
« واذا خفيت على الغبى فعاذر الا ترانى مقلة عمياء
« واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل.
« ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب فى المسير الجهام
« ذرينى أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
« تريدين لقيان المعالى رخيصة ولابد دون الشهد من أبر النحل.
« تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع.
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع.

وقوله يذم الشمس لانها تسود الوجوه ولا تسود الشعر:

تسود الشمس منا بيض أوجهنا ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما فى الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا الى حكم.

وقوله فى الشيب:

مشب الذى يبكى الشباب مشيبه فكيف توقيه وبانيه هادمه
و ما خضب الناس البياض لانه قبيح ولـكن أحسن الشعر فاحمه

ومنها فى حسن المقطع قوله :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا
وقوله أنلت عبيدك ما أملوا أنالك ربك ماتأمل
» وأعطيت الذى لم تعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

الموازنة بين أبى الطيب والطائيين

أبى تمام والبحترى

الشعر العربى المطبوع ما نظر فيه الى فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وظهوره واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافى ، ولا يتوافر ذلك إلا فى الشعر الجاهلى ، ولذا تجد أنصار القديم لا يعترفون بالشاعرية لواحد من ثلاثة الشعراء المذكورين ، ولا سيما أبو الطيب بل يحذفونهم من ديوان الشعراء إذ الصنعة ظاهرة قليلا أو كثيرا فى أشعارهم . قال ابن رشيق فى كتاب العمدة « فأما أبو تمام فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الاسماع منه مع التصنع المحكم طوعا أو كرها ، يأتى إلى الاشياء من بعد ، ويطلبها بكلفة ، ويأخذها بقوة ، وأما البحترى فكان أملح صنعة ، وأحسن مذهبا فى الكلام ، يسلك منه إلى الدماثة والسهولة ؛ مع أحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة » وقال عن أبى الطيب « ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس ولا يحسن بالأديب أن يمر على هذا الحكم مر الكرام بل لا بد أن يتعرف كيف ملأ الدنيا وكيف شغل الناس » وقال الشريف الرضى « أما أبو تمام فخطيب منبر ، وأما البحترى فواصف جؤذر ، وأما أبو الطيب فقائد عسكر »

وحسبك حكما عدلا بين هؤلاء الشعراء ما سأورده عليك من قول ابن

الأثير مع تصرف فيه

قال : « هؤلاء الشعراء قد جمعت أشعارهم إلى عذوبة المحدثين . فصاحة الاقدمين ، كما عقدت بين مثل سائر ، وحكمة بالغة ، أما أبو تمام فهو رب معان ، وصيقل أذهان . قد شهد له بكل معنى مبتكر : لم يمش فيه على أثر ؛ فمن حفظ شعره ، وكشف عن غامضه ؛ وراض فكره برائضه ، أطاعته أعنة الكلام ، وأما أبو عبادة البحترى فانه أحسن في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق ، أتى فى معانيه باخلاط الغالية ، ورقى فى ديباجة شعره إلى الدرجة العالية ، وأما ابو الطيب فأنه أراد أن يسلك طريقة أبى تمام فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى فى شعره بالحكم والامثال واستأثر بالأبداع فى وصف مواقف القتال » اهـ .

وسئل ابو الطيب نفسه عنه وعن صاحبيه فقال « انا وابو تمام حكيمان » ولعمرى لقد انصف فى حكمه واعرب بقوله عن غزارة علمه .

نتيجة الموازنة

والخلاصة ان منزلة المتنبى فى الدرجة الاولى بين شعراء المعانى والافكار والحكم والامثال ، ووصف المعارك وآلات القتال ، ويليه فى هذه الدرجة ابو تمام ، ومنزلة البحترى فى الدرجة الاولى بين شعراء الالفاظ والخيال ، فقد برع صاحبيه ديباجة لفظ وبداعة خيال . م

والحمد لله على التمام والكمال

انتهى

الفهرس

تابع الفهرس

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٩	طبرية	طبرية
٩	٢	ثروتها	ثروتها
١٠	٢١	يابتسام	بابتسام
١١	٢٠	سنتين	سنين
١٢	٥	الماحث	الباحث
١٥	٧	نحى	نحى
٢٣	٢٠	لوطأة	الوطأة
٢٣	٢١	لى	الى
٢٤	٤	لشكورز	لشكورز
٢٤	٩	اتقله	اثقله
٢٥	٨	يتشاوم	يتشاءم
٢٨	١	وقوله	تحذف
٣٠	١٨	لملاذ	الملاذ
٣٣	٦	يشتشهد	يستشهد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٨	١١	الفيت	القيت
٣٩	١٧	اشهت	اشتهت
٣٩	٢٠	رتاء	رثاء
٤٣	٩	وحده	وحدة
٤٤	١١	الثاثرة	الثائرة
٤٩	١٥	رأيه فى السيف و القلم	محذوفة
٤٩	٢١	نحزم	نجزم
٥١	٤	اتبعها ـ غامضها	اتبعه ـ غامضه
٥٣	٢	الاخد	الاخذ
٥٥	٨١	بذوى	بذى
٥٨	٧	ابن	بن
٦٠	١٥	القيد	القد
٦٢	١٠	بقول	لقول
٧٦	٦	لمتنبى	المتنبى